القُلزم للدراسات التاريخية والحضارية

مجلة علمية محكمة

تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان

بالتعاون مع الاتحاد الدولي للمؤرخين - الدنمارك

ISSN:1858-9952

في هذا العدد :

- النِجّاَمَةِ في تراثِ عرب بادية السُودان

  أ. إبراهيم محمد محمود الأمين الدلال

- البيئة النباتية لشبه الجزيرة العربية (دراسة تاريخية تحليلية)

  أ.فيصل بن سالم بن محمد الشدقاء

- التصوف من وجهة نظر بعض المستشرقين(دراسة تاريخية تحليلية)

  أ. رحاب بنت متعب بن محمد الحمادي العتيبي

- كيف تم إعلان الاستقلال من داخل البرلمان السوداني(دراسة تحليلية)

  د.أحمد سمي جدو

- أحداث و نتائج موقعة صفين(المحرم 37 هجرية / يونيو 657م)

  د. عبد المنعم يوسف عبد الحفيظ الزبير

العدد العاشر - ربيع الثاني 1443هـ - ديسمبر 2021م

فهرسة المكتبة الوطنية السودانية-السودان
مجلة القلزم:Alqulzum Journal for
Historical and cultural Studies
الخرطوم : مركز دول حوض البحر الأحمر 2021
تصدر عن دار آريثيريا للنشر والتوزيع -السوق العربي
السودان - الخرطوم
ردمك: 1858-9952

مجلة القلزم للدراسات التاريخية و الحضارية

هيئة التحرير

المشرف العام

أ.د.إبراهيم البيضاني

رئيس هيئة التحرير

أ.د.حاتم الصديق محمد احمد

رئيس التحرير

د. عوض أحمد حسني شبا

سكرتير التحرير

د.سلوى التجاني فضل جبر الله

التدقيق اللغوي

أ.الفاتح يحيى محمد عبد القادر

الإشراف الإلكتروني

د. محمد المأمون

التصميم الداخلي

أ. عادل محمد عبد القادر

تصميم الغلاف

ايلين عبد الرحيم ابنعوف

الهيئة العلمية و الإستشارية

أ.د. حسن أحمد إبراهيم-السودان

أ.د. سارة بنت عبد الله العتيبي- المملكة العربية السعودية

أ.د. أسامة عبد الرحمن الأمين- السودان

أ.د. أبو هريرة عبد الله محمود يعقوب- السودان

أ.د. أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس - جمهورية مصر العربية

أ.د. السماني النصري محمد أحمد - السودان

د. أحمد الياس الحسين - السودان

د. داود ساغه محمد عبد الله- السودان

د. سلطان أحمد الغامدي- المملكة العربية السعودية

د. سامي صالح عبد المالك البياضي- مصر

د. محمد أحمد زروق- المغرب

د. سعاد عبد العزيز أحمد السودان

د . أحمد محمد مركز- السودان

د. باب ولد أحمد ولد الشيخ سيديا- موريتانيا

د. عزة محمد موسى - السودان

د. حنان عبد الرحمن عبد الله التجاني- السودان

د. ربيعة أحمد عمران المداح- ليبيا

الآراء والأفكار التي تنشر في المجلة

تحمل وجهة نظر كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن آراء المركز

موجهات النشر

تعريف المجلة:

مجلة (القُلزم) للدراسات التاريخية و الحضارية مجلة علمية محُكمة تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان . بالشراكة مع الاتحاد الدولي للمؤرخين - الدنمارك تهتم المجلة بالبحوث والدراسات التاريخية والحضارية والمواضيع ذات الصلة لدول حوض البحر الأحمر من الناحية التاريخية والحضارية.

موجهات المجلة:

1. يجب أن يتسم البحث بالجودة والأصالة وألا يكون قد سبق نشره قبل ذلك.
2. على الباحث أن يقدم بحثه من نسختين. وأن يكون بخط (Traditional Arabic) بحجم 14 على أن تكون الجداول مرقمة وفي نهاية البحث وقبل المراجع على أن يشارك إلى رقم الجدول بين قوسين دائريين ().
3. يجب ترقيم جميع الصفحات تسلسلياً وبالأرقام العربية بما في ذلك الجداول والأشكال التي تلحق بالبحث.
4. المصادر والمراجع الحديثة يستخدم أسم المؤلف، اسم الكتاب، رقم الطبعة، مكان الطبع، تاريخ الطبع، رقم الصفحة.
5. المصادر الأجنبية يستخدم اسم العائلة (Hill, R,).
6. يجب ألا يزيد البحث عن 30 صفحة وبالإمكان كتابته باللغة العربية أو الإنجليزية.
7. يجب أن يكون هناك مستخلص لكل بحث باللغتين العربية والإنجليزية على ألا يزيد على 200 كلمة بالنسبة للغة الإنجليزية. أما بالنسبة للغة العربية فيجب أن يكون المستخلص وافياً للبحث بما في ذلك طريقة البحث والنتائج والاستنتاجات مما يساعد القارئ العربي على استيعاب موضوع البحث وبما لا يزيد عن 300 كلمة.
8. لا تلزم هيئة تحرير المجلة بإعادة الأوراق التي لم يتم قبولها للنشر.
9. على الباحث إرفاق عنوانه كاملاً مع الورقة المقدمة (الاسم رباعي، مكان العمل، الهاتف البريد الإلكتروني).

نأمل قراءة شروط النشر قبل الشروع في إعداد الورقة العلمية.

المحتويات

التصوف من وجهة نظر بعض المستشرقين(دراسة تاريخية تحليلية).....(7-32)

أ. رحاب بنت متعب بن محمد الحمادي العتيبي

البيئة النباتية لشبه الجزيرة العربية (دراسة تاريخية تحليلية).....(33-62)

أ.فيصل بن سالم بن محمد الشدقاء

كيف تم إعلان الاستقلال من داخل البرلمان السوداني(دراسة تحليلية).....(63-76)

د.أحمد سمي جدو

أحداث و نتائج موقعة صفين (المحرم 37 هجرية / يونيو 657م).....(77-92)

د. عبد المنعم يوسف عبد الحفيظ الزبير

النِجّاَمَةِ في تراثِ عرب بادية السُودان.....(93-116)

أ. إبراهيم محمد محمود الأمين الدلال

الخليفة هارون الرشيد(دراسة تحليلية).....(117-128)

د.حسَّان صدِّيق الفاضل

كلمة التحرير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين.

القارئ الكريم:

بعد السلام وكامل التقدير والاحترام يسعدنا أن نضع بين يديك هذا العدد من مجلة القلزم للدراسات التاريخية والحضارية الذي يأتي في إطار الشراكة العلمية المثمرة والجادة مع الاتحاد الدولي للمؤرخين (الدنمارك).

القارئ الكريم:

هذا هو العدد العاشر من المجلة بفضل الله وتوفيقه بعد أن نجحت المجلة بواسطة هيئتيها العلمية والاستشارية وهيئة تحريرها في إصدار تسعة أعداد، الأمر الذي يضع الجميع أمام تحدي كبير يتمثل في بذل المزيد من الجهد بغرض التطوير والتحديث والمواكبة لتصبح هذه المجلة في مصاف المجلات العالمية الرائدة بإذن الله تعالى.

القارئ الكريم:

نأمل أن يكون هذا العدد أكثر شمولاً وتنوعاً من حيث المواضيع وطريقة طرحها وتحليلها ومعالجتها. ونسأل الله تعالى أن يجد المهتمين والمختصين والباحثين في هذا العدد ما يفيدهم ويضيف للبحث العلمي.

وأخيراً نجدد شكرنا وامتنانا لكل الذين أسهموا في إنجاح هذا العدد من باحثين، ومحكمين ونجدد دعوتنا للجميع بأن أبواب النشر مشرعة في جميع مجلات القلزم العلمية المتخصصة.

أسرة التحرير

التصوف من وجهة نظر بعض المستشرقين
(دراسة تاريخية تحليلية)

أ.رحاب بنت متعب بن محمد الحمادي العتيبي

محاضر- جامعة الملك فيصل
المملكة العربية السعودية

مستخلص:

تهدف هذه الدراسة إلى تناول التصوف الإسلامي من وجهة نظر بعض المستشرقين الغربيين، وتكمن أهميته في تتبع أراءهم ووجهات نظرهم وعرض اقوالهم على كتاباتهم عن التصوف الذي ظهر وانتشر في البلدان الإسلامية، واتبعت الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي، بغية الوصول إلى نتائج والتي منها: أن بعض المستشرقين بين أن التصوف في نشأته تأثر بعوامل خارجه عن الدين الإسلامي، وأن من أهم مصادرة الأساسية هو تأثرها بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة.

Abstract:

This study aims to discuss about Islamic mysticism from the point of view of some western orientalists and its importance lies in tracking their opinions and points of view and presenting their sayings on their writings about Sufism which has been appeared and spread in muslim countries. This research followed the historical, descriptive, and analytical method in order to reach into the results including: some orientalist explained that the Sufism in its upbringing has been influenced by factors outside the Islamic religion, and the main evidence behind it that it has been influenced by Neoplatonic philosophy.

التصوف لغة:

يظهر من مراجعة كتب اللغة والمعاجم أن لفظة التصوف ليس لها اشتقاق في العربية، فهي لفظة مولدة. وصرح بذلك صاحب (المصباح المنير) فقال: (وتصوف الرجل وهو صوفي من قوم صوفية كلمة مولدة)[1].

التصوف الاصطلاح:

أ-تعريف التصوف عند غير الصوفية:

من الصعب تعريف التصوف بعبارة جامعة مانعة لكثيرة التعاريف التي وردت على ألسنة كثير من العلماء وبعض كبار المتصوفة والتي لا تخرج في عمومها عن أنه وصف حال الأنسان المنقطع للعبادة الزاهد في الدنيا المعرض عن زخارف الحياة.

1. يُعرَّف شيخ الإسلام ابن تيمية التصوف بانه: «نوع من الصديقية فهو أي الصوفي الصدِّيق الذي اختص بالزهد والعبادة على الوجه الذي اجتهدوا فيه فكان الصدِّيق من اهل هذه الطريق كما يقال صدَّيقوا العلماء وصدِّيقوا الأمراء فهو أخصّ من الصدِّيق المطلق ودون الصدِّيق الكامل الصديقية من الصحابة والتابعين وتابعيهم»[2].
2. يُعرف ابن خلدون أصل التصوف بأنه: «العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزيتنها والزهد فيما يُقبِل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد للخلوة في العبادة»[3].

- قال ابن الجوزي في تعريف التصوف: (طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلي ثم ترخص المنتسبون إليه بالسماع والرقص، فمال إليها طلاب الآخرة من العوام لما يظهرونه من الزهد، ومال طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب)[4].
- وقال ابن القيم: «التصوف: زاوية من زوايا السلوك الحقيقي، وتزكية النفس وتهذيبها، لتستعد لسيرها غلى صحبة الرفيق الاعلى ومعية من تحبه).
- وقال صديق حسن خان[5]: التصوف: علم يعرف به كيفية ترقي اهل الكمال من النوع الإنساني في مدارج سعادتهم والامور العارضة لهم في درجاتهم بقدر الطاقة البشرية)[6].

ب-تعريف التصوف عند الصوفية:

يعرف علماء الصوفية التصوف بتعريفات كثيرة، أورد القشيري أكثر من أربعين تعريفًا له نقله عن أئمة الصوفية. وأورد الكلاباذي تعريفات كثيرة للتصوف أيضًا.

قال السهروردي[7]: (وأقوال المشايخ في ماهية التصوف تزيد على ألف قول). وذكر احمد زروق[8] أن التصوف قد عُرف وحُدَّ وفُسّر ورُسم بوجوه تبلغ نحو الألفين.

ومن تعريفاتهم للتصوف:

-قول معروف الكرخي[9]: التصوف الأخذ بالحقائق، واليأس مما في أيدي الخلائق.

-وقال الجنيد[10]: التصوف تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد الصفات البشرية، ومجانبة الدواعي النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بالعلوم الحقيقية، واستعمال ما هو أولى على الأبدية، والنصح لجميع الامة، والوفاء لله على الحقيقة، واتباع الرسول في الرسول في الشريعة.-وقال الغزالي[11]: هو قطع عقبات النفس، والتنزه عن أخلاقها المذمومة، وصفاتها الخبيثة، حتى يتوصل بها على تخلية القلب من غير الله تعالى وتحليته بذكر الله[12].

- وعرفه زروق البرنسي بقوله: (علم قصد لا صلاح القلوب، وإفرادها لله عما سواه).

فهذه تعريفات الصوفية الاوائل للتصوف، وأما المعاصرون فقد تنوعت عباراتهم في تعريف التصوف، ومنها:

ما عرفه (عمر كامل الحجاز) بأنه: علم وحكمة، وتبصرة وهداية، وتربية وتهذيب، وعلاج ووقاية، وتقوى واستقامة، وصبر وجهاد، وفرار من فتنة الدنيا وزينتها وابتعاد. وقال (أبو بكر الملا الإحسائي): هو تجريد القلب لله تعالى، واحتقار ما سواه. وعرفه (عبدالحفيظ المكي): بأنه جزء لا يتجزأ من دين الإسلام، وانه شعبة عظمى من شعب الدين، وهو الإحسان.

وفي ختام هذه التعريفات يستنتج منها ما يلي:

أولًا: اختلف المتصوفة في تعريف التصوف على أقوال كثيرة بلغت ألفي تعريف كما سبق بيانه.

ثانيًا: صار لفظ الصوفية لفظًا مجملًا يدخل فيه من هو صديق ومَن هو زنديق، فإن من صدّق الرسول فيما أخبر، وأطاعه فيما أمر، إذا حقَّق ذلك صار صدّيقًا، ومَن أعرض عن خبره وأمره حتى اخبر بنقيض ما أخبر، وأمر بخلاف ما أمر، فإنه يصير زنديقًا.

ثالثًا: تقوم غالب تعريفات المتصوفة للتصوف على ركنين: الأول: الزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة، الثاني: إصلاح القلوب وتزكيتها.

وعلى هذا فالزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة وإصلاح القلوب وتزكيتها جاء في القرآن والسنة. وتلك التعريفات التي عرف بها الصوفية التصوف لم تتضمن مصادره وعقائده وعباداته التي تميزه، فمن مصادر المتصوفة في التلقي: الكشف والوجد والذوق...، ومن عقائدهم: وحدة الوجود،

الاستغاثة بالخلق.. ومن عباداتهم: الاوراد والأحزاب والرياضات المبتدعة.. وهذه المصادر والعقائد والعبادات لم تتضمنها تلك التعريفات. وعلى هذا، فالتصوف ليس هو الزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة، ولا إصلاح القلوب وتزكيتها؛ لأن هذا مما جاءت به الشريعة قبل ظهور مصطلح التصوف، ولم يكن شيئًا خاصًا به، وغنما التصوف ما كان من تلك العقائد والعبادات التي استقل بها عن احكام الشريعة. وقد قرر هذا ابن الجوزي حيث قال: (التصوف مذهب معروف يزيد على الزهد، ويدل على الفرق بينهما ان الزهد لم يذمه أحد، وقد ذموا التصوف)[13].

أولًا: مراحل التصوف وابرز أعلامهم:

لقد بدأ التصوف بالزهد والعبادة في البصرة ثم تطور إلى طرق صوفية منظمة ثم إلى انحرافات عقدية لا تمت إلى الإسلام بصلة وعليه يمكن تقسيم التصوف إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: النشأة (القرن الثاني):

ظهر في القرن الثاني مصطلح التصوف، وبدت ملامحه، قال شيخ الإسلام: (وكذلك في أثناء المائة الثانية صاروا يعبرون عن ذلك بلفظ الصوفي..).

وهي مرحلة العبَّاد والزهَّاد والذي كان يغلب على أصحابها العزلة والبعد عن الناس والزهد في الدنيا مع التزامهم في الغالب بآداب الشريعة مع تغليب جانب الخوف الشديد والبكاء المستمر.وظهر أحمد بن علي الهجيمي[14] الذي صحب عبدالواحد بن زيد[15]، وعبد الواحد صحب الحسن البصري[16]، ومن اتبعه من المتصوفة، وبنى دويرة للصوفية، هي اول ما بني في الإسلام.)[17]، وفي هذه الفترة عُرفت رابعة العدوية[18]، التي قالت بعبادة الله تعالى بالحب وحده دون خوفه ورجائه. ومن أبرز رجال هذه المرحلة عامر بن عبدالله بن الزبير الذي كان يواصل الصيام ويكثر من العبادة حتى قال له والده الصحابي الجليل عبدالله بن الزبير: «يا بني لقد رأيت ابا بكر وعمر ولم يكونا هكذا»[19]. ومنهم طلق بن حبيب[20] الذي كان من الزهاد الكبار ومن العلماء العاملين، ومنهم بشر الحافي[21] الذي كان رأسًا في الإخلاص والورع، والجنيد بن محمد بن الجنيد الذي يقول: «علمنا مضبوط بالكتاب والسنة ومن لم يحفظ الكتاب ولم يكتب الحديث ولم يتفقه فلا يقتدي به».وغيرهم كثير ممن كانت مقاصدهم حسنة ولكن ربما وقع بعضهم في بعض التجاوزات إما لقلة علمهم أو لأنهم عملوا بما وقعت عليه أيديهم من الأحاديث الضعيفة وهم لا يدرون. وهؤلاء يعتبرون من أوائل الصوفية في

مراحلها الأولى حيث جمعوا بين الزهد والتشدد في الدين والتعمق في الخطرات مما لم يكن معهودًا عند السلف. وقد استحدث في هذه المرحلة الاستماع إلى القصائد الزهدية التي تلقى بالألحان المطربة الذي أنكره الشافعي، وقال: (خلفت ببغداد شيئًا أحدثه الزنادقة يسمونه: التغبير، يصدون به الناس عن القرآن). والتغبير: هو الضرب بالقضيب، وهو آلة من الآلات التي تقرن بتلحين الغناء. واما أول من أطلق عليه لفظ (صوفي) فأبو هاشم الكوفي (ت150هـ). وقيل: جابر بن حيان (ت200هـ). وقيل: عبدك الصوفي[22] (ت220هـ). ولابد من القول هنا إن التصوف لم يكن معروفًا في زمن الصحابة والتابعين؛ ولذا فلا يجوز نسبته إليهم أو اعتبارهم من أوائل الصوفية كما ادعاه ابو نعيم الأصبهاني[23]، حيث أضاف التصوف إلى كبار الصحابة من متقدمي الأمة؛ كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ومالك والشافعي وأحمد[24]، وتبع الأصبهاني من بعده ممن ألف في طبقات الصوفية، كشعراني[25]، والمناوي[26]، حيث يبدؤون بذكر الخلفاء الراشدين، والعشرة المبشرين بالجنة ومشاهير الصحابة.

كما لابد من التنبيه هنا على أن كثيرًا من الدراسات المعاصرة التي كتبت في التصوف جعلت بدايتها في عهد النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم، واعتبرتهم من أوائل الصوفية، كما جعلت الإسلام منبع التصوف ومصدره الأصيل.

ولعل أبرز سمات هذه المرحلة ما يلي:

1. التمسك بالسنة في الغالب عدا بعض التجاوزات.
2. احترام العلم والعلماء.
3. قلة الفقه في الدين وعدم الاهتمام بالحديث.
4. الاهتمام بالوعظ والإكثار من القصص المأخوذة من أهل الكتاب والأمم السالفة.
5. تغليب جانب الخوف والحزن ومواصلة الصوم والاضطراب والصعق والغشي عند سماع القرآن.
6. البعد عن مجالس العلم والقعود عن الكسب.

وهذه السمات لم تكن لها مناهج محددة وإنما كانت سمات شخصية تقع من بعض الأفراد وتنتج غالبًا عن الجهل والغفلة.

المرحلة الثانية: ظهور عقائد التصوف (القرن الثالث والرابع):

ظهرت في هذه المرحلة عقائد التصوف، وما صاحبها من ظهور الطرق والمصطلحات الصوفية الغامضة ونزعات الأهواء والبدع وعلم الإشارات والمكاشفات والذوق إلى غير ذلك. وفي هذه المرحلة نشأ ما يسمى بعلم الظاهر

والباطن وإعلان سقوط التكاليف الشرعية عن الأولياء بزعمهم أنهم اطلعوا على علم الحقيقة عن طريق الكشف «الإلهام».

فكان أول من تكلم في بلدته في ترتيب الاحوال ومقامات اهل الولاية ذو النون المصري[27] ت245هـ. كما أن أول من نسب إليه تفضيل الاولياء على الأنبياء أحمد بن أبي الحواري[28] ت246هـ. ويقال: عن أبا يزيد البسطامي ت261هـ أول من قال: لي معراج كما كان للنبي معراج[29].

كما أن أول من تكلم في صفاء الذكر وجمع الهم والمحبة والعشق والانس ابو حمزة الصوفي[30] ت269هـ، لم يسبقه إلى الكلام بهذا على رؤوس المنابر ببغداد أحد[31].

كما قيل: إن اول من تكلم في علم الفناء والبقاء ابو سعيد الخراز[32] ت277هـ.

كما ظهرت في هذه المرحلة تصنيف الكتب في الزهد والفقر والجوع والكلام عن التصوف.. فكان كتاب: «الرعاية لحقوق الله» للحارث المحاسبي[33] ت243هـ، و»اللمع في التصوف» لأبي نصر السراج[34] ت378هـ، و»التعرف لمذهب أهل التصوف» للكلاباذي ت380هـ، و»قوت القلوب» لأبي طالب المكي[35] ت386هـ.

وبدأ في هذه الفترة ظهور الطرق الصوفية في صورتها الاولى؛ كالطيفورية نسبة إلى أبي يزيد البسطامي ت261هـ.

والملامتيةالقصارية نسبة إلى حمدون القصار[36] ت271هـ.

والخرازية نسبة إلى أبي سعيد الخراز ت277هـ.

والنورية نسبة إلى أبي الحسين النوري[37] ت295هـ.

والحلاجية نسبة إلى ابي منصور الحلاج[38] ت309هـ.

وأقطاب هذه المرحلة هم مشايخ الطرق الصوفية المشهورون مثل:

1. أبي الحسن الشاذلي[39] شيخ الطائفة الشاذلية الذي يصفه الشعراني في طبقاته بقوله: كان كبير المقدار عالي المنار له عبارات فيها رموز وكان قطب الزمان والحامل في وقته لواء أهل العيان حجة الصوفية وعَلَمُ المهتدين وزين العارفين أستاذ الأكابر وزمزم الأسرار ومعدن الأنوار».
2. ومن أقطاب هذه المرحلة أيضًا: أحمد الرفاعي[40] الذي يزعم أتباعه أنه «لما حج سنة 555هـ، وقف تجاه الحجرة النبوية وقال: السلام عليكم يا جدي. فقال له عليه أفضل الصلاة والسلام: عليك السلام ياولدي. وسمع ذلك كل من في المسجد النبوي ومدَّ له رسول الله يده الشريفة من قبره فقبَّلها في ملأ يقرب من تسعين

ألف رجل ثم قالوا: وإنكار هذه الكرامة كفر». بل تصديق هذه الخرافة جهل ونقص عقل إذ كيف خرجت يده ﷺ من قبره وهو فارق الحياة ويعيش فترة البرزخ كأكمل حياة الشهداء.

وقد وقعت بين الرفاعية وبين شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- مناظرة عظيمة أمام أمير دمشق حين زعموا أن بإمكانهم دخول النار والخروج منها سالمين فتحداهم شيخ الإسلام بأن يدخل معهم النار شريطة أن يغتسلوا بالماء الحار والخل لإزالة ما كانوا يطلون به أجسامهم من الأدوية التي كان يضعونها من دهن الضفادع وباطن قشر النارنج فمن أحرقته النار فعليه لهنة الله وكان مغلوبًا، وقد أظفره الله عليهم وطلبوا التوبة وقد ذكر شيخ الإسلام القصة كاملة في الفتاوى[41].

ويمكن حصر السمات البارزة لهذه المرحلة فيما يلي:

1. ظهور مشايخ الطرق الصوفية ووضع الأصول والمناهج العامة لها.
2. الإكثار من دعوى الالتزام بالكتاب والسنة ونهج السلف ثم وجود المفارقات لهذا الشعار عند التطبيق.
3. وجود بعض الشطحات في الألفاظ والسلوك والتصرفات مما أنكره عليهم علماء السلف ووصفوهم به بالضلال.
4. ظهور القصائد الصوفية وتطور مفهوم السماع وما يرافقه من السكر والوجد والرقص.
5. ظهور المصطلحات الصوفية مثل الكشف والحقائق والأسرار والفناء والمشاهدة وغيرها.

المرحلة الثالثة: اقتران التصوف بعلم الكلام (القرن الخامس والسادس):

ارتبط التصوف بعلم الكلام في هذه المرحلة ارتباطًا وثيقًا، حيث دخل علم الكلام على الصوفية عن طريق الأشاعرة[42].وبدأ ارتباط التصوف بعلم الكلام عن طريق القشيري ت465هـ، حيث ادخل التصوف في المذهب الاشعري وربطه به، وذلك حين الف رسالته المشهورة في التصوف وأحواله وتراجم رجاله، وذكر في احد فصولها أن عقيدة أعلام الصوفية هي عقيدة الأشاعرة. وجاء بعد القشيري ابو حامد الغزالي ت505هـ الذي يمثل مرحلة خطيرة من امتزاج التصوف بالمذهب الأشعري حتى كاد ان يكون جزءًا منه.

قال شيخ الإسلام: (والمقصود هنا أن المشايخ المعروفين الذين جمع الشيخ ابو عبدالرحمن السلمي أسماءهم في كتاب: «طبقات الصوفية»، وجمع

اخبارهم وأقوالهم، دع من قبلهم من ائمة الزهاد من الصحابة والتابعين الذين جمع ابو عبدالرحمن وغيره كلامهم في كتب معروفة، وهم الذين يتضمن اخبارهم كتاب «الزهد» للإمام أحمد وغيره، لم يكونوا على مذهب الكلابية الأشعرية..). وفي هذه المرحلة ظهرت أوائل الطرق الصوفية، كالقادرية نسبة لعبد القادر الجيلاني ت561، والرفاعية نسبة لأحمد الرفاعي ت578هـ.

المرحلة الرابعة: امتزاج التصوف بالفلسفة (القرن السابع والثامن):

تعتبر هذه المرحلة من اخطر مراحل الصوفية، حيث تسربت غليها الفلسفة اليونانية، فابتعدت بها عما سبقها من مراحل التصوف. فدخلت الفلسفة في التصوف من قاعدة ان الفلسفة: هي التشبه بالإله على قدر الطاقة، فقرَّرها الغزالي في كتابه: «المضنون بها على غير أهلها»، ومشى خلفه القائلون بالوحدة المطلقة والاتحاد. وفي هذه المرحلة تتابع ظهور الطرق الصوفية؛ كالشاذلية نسبة إلى ابي الحسن الشاذلي ت656هـ، والأحمدية نسبة إلى أحمد البدوي[43] ت675هـ، والبراهمية أو الدسوقية نسبة إلى إبراهيم الدسوقي ت676هـ، والنقشبندية نسبة إلى محمد البخاري[44] ت791هـ، وغيرها. وفي هذه المرحلة اشتهرت عقائد كفرية بين الصوفية؛ كالقول بوحدة الوجود، والاتحاد، ونادى بها أصحابها؛ كابن الفارض[45] ت632هـ، وابن عربي[46] ت638هـ، وابن سبعين[47] ت669هـ.

تعد هذه المرحلة من اخطر مراحل التصوف فقد بدأت الانحرافات في الظهور بعد تسرب الفلسفة اليونانية والاتجاهات الفارسية والمجوسية والتأثر بالديانات اليهودية والنصرانية وأبرز سمات هذه المرحلة يمكن حصرها فيما يلي:

1. تكوين أصول الصوفية ومدى تأثرها بالنصرانية وقولها بالاتحاد والحلول وبالمجوسية وتقديسها للأشخاص وبالهندية وقولها بالفناء والتناسخ وبالفلسفة اليونانية وإلحادها وزندقتها والقول بوحدة الوجود.
2. دعوى العلم اللدني والتلقي عن الله مباشرة كقول البسطامي أخذتم دينكم ميِّت أما نحن فنأخذ عن الحي الذي لا يموت وقول ابن عربي: «والله ما كتبت في الفتوحات المكية حرفًا إلاَّ عن إملاء إلهي أو إلقاء رباني او نفث روحاني او روح كياني».
3. وقوعهم في الكثير من البدع الاعتقادية كالتشيع والتهجم والإرجاء والقدر لبعدهم عن مناهج التلقي الصحيحة وهي الكتاب والسنة.
4. وقوع بعضهم في الفواحش والرذائل وزعمهم أنها من باب الكرامات.

وبعد فهذه ملامح رئيسة تم ذكر بعضها بإيجاز للدلالة على المراحل التي مرت بها الصوفية وكيف بدأت زاوية الانحراف بسيطة ثم اتسعت كلما ابتعدوا عن الكتاب والسنة وهدي السلف الصالح حتى آل بهم الحال إلى الإلحاد والقول بالاتحاد ووحدة الوجود والحلول والتحلل من الشرائع نعوذ بالله من ذلك[48].

ثالثًا: مدارس الصوفية:

1. مدرسة الزهد وأصحابها من النساك والزهاد والعباد والبكائين، ومن أفرادها: رابعة العدوية، وإبراهيم بن أدهم، ومالك بن دينار.
2. مدرسة الكشف والمعرفة: هذه المدرسة هي التي تقوم على اعتبار أن العقل وحده لا يكفي في تحصيل المعرفة وغدراك حقائق الموجودات، إذ لا بد أن يتطور المرء بالرياضة النفسية، حتى تنكشف عن بصيرته غشاوة الجهل، وتبدوا له الحقائق جلية واضحة. وزعيم هذه المدرسة أبو حامد الغزالي.
3. مدرسة وحدة الوجود: زعيم هذه المدرسة محي الدين ابن عربي.
4. مدرسة الاتحاد والحلول: زعيمها الحلاج، ويظهر في هذه المدرسة التأثر بالتصوف الهندي وبالديانة النصرانية، حيث يتصور الصوفي في هذه المدرسة أن الله تعالى قد حلَّ فيه عياذًا بالله، وأنه قد اتحد هو بالله عياذًا بالله[49].

رابعًا: مراتب الصوفية:

واما مراتب الصوفية، التي وضعوها لبيان طبقات المتصوفة ومكانتهم، وقدرتهم واختيارهم على الخلق، واعدادهم، وهم حسب كلام لسان الدين بن الخطيب: «خواص الله في ارضه، ورحمة الله في بلاده على عباده: الأبدال، والأقطاب، والاوتاد، والعرفاء، والنجباء، والنقباء، وسيدهم الغوث».

ولدى الهجويرى هم: «أهل الحل والعقد، وقادة حضرة الحق جل جلاله، فثلاثمائة يدعون الأخيار، وأربعون آخرون يسمون الأبدال، وسبعة آخرون يقال لهم: الابرار، وأربعة يسمون الاوتاد، وثلاثة آخرون يقال لهم: النقباء، وواحد يسمى القطب، والغوث. وهؤلاء جميعا يعرفون أحدهم الآخر، ويحتاجون في الامور لأذن بعضهم البعض».ومثل ذلك ذكرهم الجرجاني في تعريفاته:

«القطب، وهو الغوث: عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله من العالم في كل زمان ومكان، وهو على قلب اسرائيل عليه السلام.

الامامان: هما شخصان، احدهما عن يمين الغوث ونظره في الملكوت،

والآخر عن يساره، ونظره في الملك، وهو أعلى من صاحبه، وهو الذي يخلف الغوث.

الاوتاد:

عبارة عن اربعة رجال منازلهم على منازل أربعة اركان من العالمشرق وغرب وشمال وجنوب، مع كل واحد منهم مقام تلك الجهة.

البدلاء: هم سبعة، ومن سافر من القوم عن موضعه وترك جسدا على صورته حتى لا يعرف احد انه فقد، فذلك هو البدل لا غير، وهم على قلب ابراهيم عليه السلام.

النجباء:

اربعون، وهم المشغولون بحمل اثقال الخلق فلا يتصرفون إلا في حق الغير.

النقباء: هم الذين استخرجوا خبايا النفوس، وهم ثلاثمائة».

وهذا الترتيب مأخوذ عن ابن عربي في فتوحاته كما قال: «والمجمع عليه من أهل الطريق انهم على ست طبقات امهات: اقطاب، وائمة، وأوتاد، وأبدال، ونقباء، ونجباء».

وقد ذكرهم المستشرق الفرنساوى ما سينيون بقوله:

«ويزعم الصوفية أن العالم يدوم بقاؤه بفضل تدخل طبقة من الأولياء المستورين عددهم محدود، وكلما قبض منهم واحد خلفه غيره، ورجال الغيب هم: ثلاثمائة من النقباء، وأربعون من الأبدال، وسبعة أمناء، وأربعة عمد، ثم القطب، وهو الغوث».

فهذه المراتب والترتيب والأعداد لم يأخذها المتصوفة إلا من الشيعة أيضا، وخاصة من الشيعة الاسماعلية والنصيرية كما ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية في رسائله وفتاواه[50].

أولًا: الطرق الصوفية:

لقد تعددت الطرق الصوفية ومنها على سبيل المثال لا الحصر فمن أوائل الطرق التي اندثرت وهي أصول الطرق التي حدثت فيما بعد:

1- المحاسبية:

نسبة إلى أبي عبدالله الحارث بن أسد المحاسبي، بصري سكن بغداد وتوفي سنة 243هـ، « وقد سئل أبو زرعة الرازي عن المحاسبي وكتبه، فقال: إياك وهذه الكتب، هذه كتب بدع وضلالات، عليك بالأثر تجد غنية، هل بلغكم ان مالكًا والثوري والأوزاعي صنفوا في الخطرات والوساوس، ما أسرع الناس غلى البدع».وطريقة أتباعه موافقة لمعظم ما عليه صوفية خرسان ذلك الوقت إلا ان لها بعض الاختلاف اليسير بينهم.

2-الطيفورية أو البسطامية:

نسبة إلى طيفور بن عيسى أبو يزيد البسطامي وهو مشهور بكنيته (ت234هـ او 261هـ)، كان جده مجوسيا فأسلم، وطريقته كما يصفها الصوفية: الغلبة والسكر، ونقلت عنه اقوال خطيرة مثل: «ما في الجبة غلا الله»، «سبحاني ما أعظم شأني». وكان أتباعه يتجنبون مخالطة الناس، ويفضلون الخلوة والعزلة.

3-السقطية:

نسبة إلى ابي الحسن السري بن المغلس السقطي خال الجنيد، ت 253هـ.

4- القصارية:

أتباع أبي صالح حمدون بن عمارة القصار (ت271هـ)، ومن طريقتهم: إظهار الملامة، ونشرها، والتعرض للبلايا وتأديب النفس بالتحقير والإهانة، واشتهر بعد ذلك طائفة يقال لهم الملامتية، وزاد فيها ابتداعا أيضا تلميذه أبو محمد عبدالله بن منازل، ت 329، او 330هـ. وظهر الغلاة منهم في تركيا حديثًا.

ومن فرقها: القلندرية وهم الذين تركوا العادات والآداب وراءهم ظهريًا واهملوا التقيد بآداب المجالس والمعاملات- ومن الامور التي عرفوا بها: حلق شعر الراس واللحية والشارب والحاجب، وكانوا يلبسون زي العجم والمجوس[51].

5-الجنيدية:

أتباع ابي القاسم الجنيد بن محمد ت297هـ، قالوا في وصف طريقته غنها توفق بين الشريعة والحقيقة، وتجمع بين الظاهر والباطن، وإنها اكثر ملاءمة للمبتدئين وغير الناضجين.

6-النورية:

أتباع ابي الحسن أحمد بن محمد الخراساني البغوي النوري ت295هـ، وهو من أصحاب الجنيد، وله عبارات دقيقة يتعلق بها من انحرف من الصوفية، وأُخِذَ ليُقتل على الزندقة ثم عفي عنه واطلق، وأتباعه أخذوا من عباراته ما قادهم إلى القول بالفناء، والحلول. وهؤلاء يذمون العزلة ويحثون على المعاشرة والمصاحبة، ويحثون على الغيثار ولهم في ذلك تفسيرات وتاويلات وحكايات.

7-السهلية او التسترية:

اتباع سهل بن عبدالله التستري ت273 أو 283هـ. وكانوا يعظمون رياضة النفس والمجاهدة ويجلونها سبيلا للوصول إلى الغاية وهذا مما تتفق

عليه غالب الطرق لكن هؤلاء يولون هذا الجانب اهتمامًا أكبر ويقدمونه على واجبات السالك الأخرى.

8 -الخرازية:

أتباع أبي سعيد احمد بن عيسى الخراز أحد المشاهير الصوفية في القرن الثالث ت279هـ وقيل غير ذلك، وأساس طريقته مبني على موضوع البقاء والفناء قال الذهبي: يقال إنه اول من تكلم في علم الفناء والبقاء، فأي سكتة فاتته، قصد خيرًا، فولد أمرًا كبيرًا تشبث به كل اتحادي ضال به، ونقل عن السلمي إنكار اهل مصر عليه، وتكفيرهم له بألفاظ حفظت عنه.

9 -الحكيمية:

أتباع أبي عبدالله الحكيم محمد بن علي الترمذي، ت296 أو 320هـ/ أحد كبار الصوفية في القرن الثالث، وله تأصيلات خطيرة في الولاية وتكلم الناس فيه لأجل موقفه من الولاية وتقديمه لها على النبوة. وزاد اتباعه بعد ذلك على خطئه ما صار كفرًا.

10 -الحلاجية:

نسبة غلى ابي المغيث الحسين بن منصور الحلاج، قتل:309هـ، وكان جده مجوسيًا، وظهر للناس سوء سيرته، ومروقه، قال الذهبي: «منهم من نسبه إلى الحلول، ومنهم من نسبه إلى الزندقة، وغلى الشعبذة والزوكرة، وقد تستر به طائفة من ذوي الضلال والانحلال، وانتحلوه وروجوا به على الجهال».

والصوفية كلهم يزكونه ويمدحونه كالغزالي والقشيري وابن عربي والصوفية المعاصرون[52].

11 -السيارية:

أتباع أبي العباس القاسم السياري المروزي ت342هـ، ومذهبهم مبني على الجمع والتفرقة وهما من الألفاظ المجملة التي يراد بها حق وباطل، ولا يفهم سامعها مرادهم بها؛ ويدخلون امورهم الباطلة في مثل هذه المصطلحات؛ فالجمع مشاهدة الأشياء بواسطة الله وبوسيلته، وجمع الجمع هو الفناء عما سوى الله، وهو مقام الاتحاد والاتصال.

12 -الحلمانية:

اتباع أبي حلمان الفارسي الحلبي في القرن الرابع وكانت تصرح بالقول بالحلول ووحدة الوجود، وهي من الطوائف الباطنية.

13 - القشيرية:

اتباع أبي القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري، ت465هـ. ويظهر تطور للطرق بعد حدوث الدولة العثمانية وتوطيد اركانها، فنشطت الطرق وزاد عددها، لتشجيع سلاطين الأتراك على هذه الطرق ومحبتهم لها[53].

التعريف بالاستشراق والمستشرقين:

الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي، وكلمة «مستشرق» تطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله من أقصاه إلى أدناه وتشتمل هذه الدراسة في لغاته وآدابه وحضاراته وأديانه[54]، ومن هنا يمكن تعريفه بأنه: «هو الذي يعنى باهتمام العلماء الغربيين بالدراسات الإسلامية والعربية ومنهج هؤلاء العلماء ومدارسهم واتجاهاتهم ومقاصدهم[55]». وقد ارتبطت حركة الاستشراق بالمفهوم الحضاري الغربي الذي استطاع بذكاء ان يوجد تحالفًا بين الثقافة والسياسة، وأن يستخدم الثقافة كأداة لتحقيق أهداف سياسية، حيث لم تكن الغاية المعرفية هي المقصودة في عمل المستشرقين، ولو كان المستشرق يريد أن يعرف الشرق كما هو في عقائده، وقيمه، وفكره، وتقاليده، لأنصت إلى الثقافة الشرقية حتى تحدثه عن ذاتها، لكي يكتشف منها حقيقة الشرق وتراث الشرق، وليس من حق المستشرق وقد تلقى دراسة ثقافة الشرق أن يجعل نفسه وصيًا على تلك الثقافات، لأن ثقافاتهم متميزة ومستقلة متكاملة وهي وليد تاريخ طويل من تفاعل الإنسان بالحياة، وإذا كانت مهمة المستشرق «الاستكشاف» فمن واجبه أن يتابع رسالته الثقافية في محاولة استكشاف الشرق ما هو، من غير وصاية[56]. وقد تعددت مظاهر النشاط الاستشراقي فبدأ المستشرقون خاصة منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر في مختلف بلدان أوروبا وأمريكا بإنشاء جمعيات لمتابعة الدراسات الاستشراقية، فتأسست أولًا الجمعية الآسيوية في باريس سنة 1822هـ، ثم الجمعية الملكية الآسيوية في بريطانيا وإيرلندا سنة 1823هـ، وغيرها، وقد نشطت هذه الجمعيات حيث قامت بأصدار المجلات والمطبوعات وكانت أول مجلة استشراقية متخصصة في أوربا وهي مجلة «ينابيع الشرق» التي صدرت في فيينا من عام 1809م إلى عام 1818م، ثم تلتها مجلات أخرى[57]. وأيضًا من مظاهر النشاط الاستشراقي شهد القرن التاسع عشر الميلادي بداية إقامة المؤتمرات الدولية للمستشرقين، فقد عقد أول مؤتمر دولي للمستشرقين في باريس عام 1873م، وتوالت بعدها المؤتمرات والندوات واللقاءات الإقليمية ولا تزال مثل هذه المؤتمرات تعقد بانتظام حتى اليوم والتي تضم مئات العلماء مثل مؤتمر أكسفور كان يضم تسعمائة عالم من خمس وعشرين دولة، وخمس وثمانين جامعة، وتسع وستين جمعية علمية[58]. وقد تنوعت دوافع وأهداف المستشرقين منها الدافع العلمي، ودافع ديني، ودافع سياسي ودافع اقتصادي، وقد كان المستشرقين ينقسمون إلى فئات مختلفة:

1. فريق من طلاب الأساطير والغرائب، وهؤلاء الذين افتروا على الإسلام وزعموا الاباطيل والأكاذيب حوله.

2. فريق من المرتزقة الذين جندوا دراساتهم وبحوثهم لخدمة المصالح الغربية من سياسية واقتصادية وغيرها.
3. فريق تعرض للإسلام باسم البحث العلمي لكنهم انحرفوا عن جادة الصواب فراحوا يتلمسون نقاط ضعف في الإسلام، ويشككون في صحة الرسالة المحمدية. وفي القرآن ومصدره، وغير ذلك.
4. فريق من المستشرقين التزم في دراسته للإسلام بالموضوعية والنزاهة العلمية وأنصف الإسلام والمسلمين، وقد أدى الأمر ببعضهم إلى اعتناق الإسلام[59].

-آراء المستشرقين عن التصوف الإسلامي:

إن كبار الكتّاب عن التصوف والباحثين فيه من المستشرقين والمسلمين، وحتى الصوفية أقروا أن التصوف وتعاليمه وفلسفته، أوراده وأذكاره، وطرق الوصول إلى المعرفة، مأخوذة مستقاة من المسيحية والمذاهب الهندية والمانوية، والزرادشتية أيضًا فلا ينكرها منكر، ولا يردَّها أحد، ولا يشك فيها شاك، ومن ذلك ما كتبه الأستاذ أبا العلاء العفيفي في ثنايا بحثه عن المشتغلين من المستشرقين في الدراسة عن التصوف فنقل عن المستشرقان الألمانيان ريتشورد هارتمان وماركس هورتين قوله:

«أما ريتشورد هارتمان، وماركس هورتينفنزعتهما واحدة: وهي أن التصوف يستمد أصوله من الفكر الهندي، وإن كان هورتن قد بذل من المجهود في إثبات هذه النظرية ما لم يبذله أي كاتب آخر. فقد كتب في سنتي 1927، 1928م مقالتين حاول أن يثبت في إحداهما، بعد تحليل تصوف الحلاج والبسطامي والجنيد، أن التصوف الإسلامي في القرن الثالث الهجري كان مشبعا بالأفكار الهندية، وأن الأثر الهندي أظهر ما يكون في حالة الحلاج. وفي المقالة الثانية يؤيد النظرية نفسها عن طريق بحث المصطلحات الصوفية الفارسية بحثا فيلولوجيا، وينتهي إلى أن التصوف الإسلامي هو بعينه مذهب الفيدانتا الهندية[60]».ويستند هارتمان في إثبات نفس الدعوى إلى النظر في الصوفية أنفسهم وفي مراكز الثقافة القديمة التي كانت منتشرة في بلادهم، لا إلى المصطلحات الصوفية كما فعل هورتن. وقد نشر في مسألة أصل التصوف مقالًا هامًا سنة 1916م في مجلة Der Islam وخلاصة بحثه أن التصوف الإسلامي مدين للفلسفة الهندية التي وصلت إليه عن طريق مترا ومانى من جهة، وللقبّالة اليهودية والرهبنة المسيحية والغنوصية والأفلاطونية الحديثة من جهة أخرى. وهو يرى أن الذي جمع هذه العناصر كلها ومزجها مزجا تاما في التصوف هو أبو القاسم الجنيد البغدادي المتوفى سنة 297هـ، فإليه يجب أن تتجه

عناية الباحثين. أما حججه في تأييد الأصل الهندي فهي:

أولًا: أن معظم أوائل الصوفية من أصل غير عربي كإبراهيم بن أدهم وشقيق البلخي وأبي يزيد البسطامي ويحيى بن معاذ الرازي.

ثانيًا: أن التصوف ظهر أولا وانتشر في خرسان.

ثالثًا: أن تركستان كانت قبل الإسلام مركز تلاقي الديانات والثقافات الشرقية والغربية، فلما دخل أهلها في الإسلام صبغوه بصبغتهم الصوفية القديمة. وهذا كلام أشبه بما ذكره كل من ثولك وفون كريمر في هذا الموضوع.

رابعًا: ان المسلمين أنفسهم يعترفون بوجود الأثر الهندي.

خامسا: ان الزهد الإسلامي الأول هندي في نزعته وأساليبه. فالرضا فكرة هندية الأصل، واستعمال الزهاد للمخلاة في سياحتهم، واستعمالهم للسبح، عادتان هنديتان[61]».

هذا والقارئ لأقوال الصوفية، والعارف بأحوالهم ورياضاتهم ومجاهداتهم يلاحظ بنفسه تشابها كبيرا بين هؤلاء وأولئك، وخاصة في تعذيب النفس، وتحمل المشاق، والتجوع، وحبس النفس، واماتة الشهوات، والهروب عن الأهل والأولاد، والجلوس في الخلوات، ومراقبة صورة الشيخ، وطرق الذكر، وكثير من العادات والتقاليد والرسوم، حيث لا يرى فيها مشابهة تامة بتلك المذاهب وأصحابها، كما لا يرى فيها أي أثر للإسلام وتعاليمه، ولا ثبوت من حاملي رايته، ومتمسكي سبيله، ومتبعي طريقة.

ومن المقولات التي تعتبر شهادات داخلية، واعترافات، وعبارات ناطقة عن منابعها ومصادرها حيث نقل المستشرق الإنجليزي نيكلسون (1868-1945م)، عن الجامي أنه قال:

«إن الجنيد أول من صاغ المعاني الصوفية، وشرحها كتابة، وأنه كان يعلّم التصوف في بيوت خاصة وفي السراديب[62]».

وزاد نيكلسون أشياء في مقالاته العديدة التي نشرت في دوائر المعارف، وجمعت بعضها باسم (الدراسات في التصوف الإسلامي وتاريخه) منها ما قاله تحت عنوان الزهد في الإسلام:

«كان عرب الجاهلية على حظ قليل من التفكير الديني، وكان تفكيرهم في هذه الناحية مضطربًا غامضًا. وقد شغلهم انهماكهم في متع الحياة ومتاعبها عن التفكير في حياة أخروية، ولم يخطر ببالهم أن يعدوا أنفسهم لحياة روحية وراء حدود القبر. وقد غرست المسيحية -لا الكنيسة المسيحية، بل المسيحية غير التقليدية وغير المنظمة- بذور الزهد في بلاد العرب قبل البعثة المحمدية، وظل أثرها يعمل عمله في تطور الزهد في الإمبراطورية الإسلامية في عصورها الأولى.

ونحن نعلم أن المسيحية كانت منتشرة قبل الإسلام بين قبائل شمالي الجزيرة العربية، وأن كثيرًا من العرب كانوا على شيء من العلم- مهما كان قليلا وسطحيا- بعقائد الديانة المسيحية وطقوسها. بل إن الإشارات التي وردت في الشعر الجاهلي عن رهبان المسيحيين لتدل على أن عرب البادية كانوا يجلون هؤلاء الرهبان ويعظمونهم، وكانوا يهتدون بأنوارهم المنبعثة من صوامعهم في ظلام الليل وهم يسيرون في الصحراء. فضرب هؤلاء الرهبان وغيرهم من الزهاد الهائمين على وجوههم، مثلا للعرب الوثنيين في الزهد، وحركوا في نفوس بعضهم، وهم المعروفون بالحنفاء، ميلًا إلى النفور من الأوثان ورفض عبادتها. فدان هؤلاء بعقيدة التوحيد، واصطنع بعضهم الزهد ومجاهدة النفس، ولبسوا الصوف وحرموا على أنفسهم بعض انواع الطعام».

وقال أيضًا:

«كانت الثياب المصنوعة من خشن الصوف علامة على الزهد قبل الإسلام، وفي هذا حاكى العرب رهبان المسيحيين. وقد شاع استعمال هذا النوع من الثياب بين زهاد المسلمين الأوائل، ومنه اشتق اسم الصوفية الذي استعمل قبل نهاية القرن الثاني الهجري. على أن اسما آخر أطلق على هؤلاء الزهاد وإن كان أقل شيوعا من اسم الصوفي، وهو (مسوحى) نسبة إلى مسوح جمع مسح وهو اللباس من الشعر. وقد جرت العادة بأن يلبس الزهاد، رجالا كانوا أو نساء، جبة أو مدرعة من الصوف وأن تلبس المرأة احيانا غطاء على الرأس من القماش نفسه، وهذا الغطاء هو الخمار.

وقد استنكر سفيان الثوري المتوفى سنة 161هـ لبس الصوف، وعدّه بدعة، واستنكره كذلك غيره من المسلمين لأنهم اعتبروه رمزا للمسيحية وعلامة على الرياء». وقال ايضًا تحت عنوان التصوف باحثا عن كلمة الصوفي نقلا عن نولدكه: «إن المسلمين في القرنين الأولين للإسلام كانوا يلبسون الصوف، وبخاصة من سلك منهم طريق الزهد، وأنهم كانوا يقولون: لبس فلان الصوف: بمعنى تزهد ورغب عن الدنيا. فلما انتقل الزهد إلى التصوف قالوا: لبس فلان الصوف بمعنى: أصبح صوفيا. وكذلك الحال في اللغة الفارسية: فإن قولهم (بشمينا بوش) معناه: يلبس لباس الصوف.

وقد أخذ زهاد المسلمين الاوائل عادة لبس الصوف عن رهبان المسيحيين ونساكهم، يدل على ذلك أن حماد بن أبي سليمان قدم البصرة، فجاءه فرقد السنجي وعليه ثياب صوف، فقال له حماد: ضع عنك نصرانيتك هذه. وقد أطلقوا على هذه الثياب (زي الرهبان)، واستشهدوا بحديث معناه أن النبيﷺ قال: ان عيسى كان يلبس ثياب الصوف».

وقال نيكلسون، والذي عرف باختصاصه في الدراسات عن التصوف، حيث يذكر تحت تطور الزهد في العصور الوسطى: «لم يخرج الصوفية كثيرا على الحديث القائل: لا رهبانية في الإسلام إلا بعد مضى عدة قرون- إلى ان يقول-: وغننا لا نعلم إلا القليل عن نظام الزهد الرهباني ونشأته في العصور الإسلامية الاولى، ويقال: ان اول خانقاه أسست لمتصوفة المسلمين كانت برملة في فلسطين قبل نهاية المائة الثامنة الميلادية على ما يظهر، وان مؤسسها كان راهبا مسيحيا..»

هذا بالنظر إلى أنه لا يوجد في تعاليم القرآن والسنة رسم ولا أثر لهذه التكايا والزوايا والخانقاوات والربط، بل أمر المسلمين ببناء المسجد للعبادة، كما أمروا بتعمير بيوتهم بقراءة القرآن فيها والعبادة. وأما بناء الأمكنة الخاصة للتعبد والذكر والأوراد فليس إلا تقليلا لشأن المساجد، وصرف الناس عنها، واعطاء التكايا والزوايا والربط مكانتها وشأنها، وفي هذا مخالفة لأوامر الله وتعاليم رسوله صلوات الله وسلامه عليه. وعلى ذلك قال ابن الجوزي: «أما بناء الأربطة فإن قوما من المتعبدين الماضين اتخذوها للانفراد بالتعبد، وهؤلاء إذا صح قصدهم فهم على الخطأ من ستة أوجه:

أحدها: إنهم ابتدعوا هذا البناء وإنما بنيان أهل الإسلام المساجد.

والثاني: انهم جعلوا للمساجد نظيرا يقلل جمعها.

والثالث: انهم أفاتوا أنفسهم نقل الخطى إلى المساجد.

والرابع: انهم تشبهوا بالنصارى بانفرادهم في الأديرة.

والخامس: انهم تعزبوا وهم شباب وأكثرهم محتاج إلى النكاح.

والسادس: انهم جعلوا لأنفسهم علما ينطق بأنهم زهاد فيوجب ذلك زيارتهم والتبرك بهم، وغن كان قصدهم غير صحيح فغنهم قد بنوا دكاكين للكوبة ومناخا للبطالة واعلاما لإظهار الزهد.

وأما قضية المصطلحات التي روجوها بين الناس، واستعملوها فيما بينهم فلا يشك أحد في كونها أجنبية في الإسلام ولغة الإسلام العربية، ومقتبسة مأخوذة من المسيحية بحروفها والفاظها، معانيها ومدلولاتها مثل: «ناموس، رحموت، رهبوت، لا هوت، جبروت، رباني، روحاني، نفساني، جثماني، شعشعاني، وحدانية، فردانية، رهبانية، عبودية، ربوبية، ألوهية، كيفوفية».

والجدير بالذكر، ومن الأشياء اللافتة للأنظار أن كل من حاول تبرئة التصوف عن كونه مأخوذا ومقتبسا من الرهبنة المسيحية لم يسعه الانكار عن كون المسيحية احدى مصادر التصوف، وأنه استفاد منها. ومن الباحثين والمؤيدين: لهذا الاتجاه «فون كريمر، وجولدزيهر، ونيكولسون، وفلسنك وآسين

وبلاسيوس، وأندرية وأوليرى.

ولقد ذكر جمع من الكتّاب والباحثين في التصوف ممن اشتغلوا بالتصوف من المسلمين وغيرهم من المستشرقين، وقل من شذ عنهم ان الافلاطونية الحديثة هي أحد المصادر الأساسية للتصوف، بل إنها هي المصدر الأول بالنسبة للقائلين بوحدة الوجود والحلول بدءًا من ابي اليزيد البسطامي، وسهل التسترى، وابن عربي والحلاج والسهروردي وغيرهم.

وقد ذهب معظم المستشرقين إلى ان الأفلاطونية الحديثة من اهم مصادر التصوف، وخاصة للتصوف المتأخر من القرون الأولى، ولقد بحث المستشرق الانجليزي نيكلسون هذا الأمر في مقالاته عن التصوف بمواضع عديدة، فارجع نشأته إلى عوامل خارجة عن الإسلام عملت عملها ابتداء من القرن الثالث الهجري، واهم هذه العوامل وأبرزها في نظره هو الأفلاطونية الحديثة المتأخرة التي كانت شائعة في مصر والشام إلى عهد ذى النون المصرى ومعروف الكرخى، ولهذا يتخذ من ذي النون المصرى محورا لبحثه في هذه المقالة، فيأتي بكثير من الأسانيد التاريخية عن حياة ذي النون ونشأته، ويستدل بها على أن ذا النون كان على علم بالحكمة اليونانية الشائعة في عصره. ويتتبع حركة الثقافة اليونانية المتأخرة وطرق وصولها إلى المسلمين[63]. وينتهي إلى ان التصوف في ناحيته النظرية مأخوذة من الافلاطونية الحديثة موافقا في ذلك رأى ميركس الذي شرح هذه النظرية في كتابه (التاريخ العام للتصوف ومعالمه) هيدلبرج سنة 1893م[64].

الخاتمة

نتائج الدراسة:

- من خلال عرض تعريف للتصوف يلاحظ تعدد التعريفات سواء من غير المتصوفين وكذلك المتصوفين أنفسهم واختلافهم على تعريف التصوف.
- لقد بينت هذه الدراسة مراحل التصوف منذ بدايته التي عرفت بالزهد والتفرغ للعبادة، ثم تطوره إلى أن دخلتها البدع والانحرافات العقدية والبدعية.
- كان للتصوف أعلامه ورجاله البارزين الذين ارتبطت اسمائهم واشتهرت إلى أن أصبحت مسميات للطرق صوفية فمن أعلامهم على سبيل المثال لا الحصر أبي الحسن الشاذلي، والتي ظهرت عنه الطريقة الشاذلية، والطريقة القادرية نسبه إلى عبدالقادر الجيلاني، والطريقة الرافعية نسبه إلى أحمد الرفاعي.

- ظهرت للتصوف مدارس متعددة ومختلفة ولكل مدرسة لها مؤسسها، منها مثلًا: مدرسة الزهد فمن الرائدين فيها رابعة العدوية، ومدرسة وحدة الوجود زعيمها محي الدين ابن عربي، ومدرسة الاتحاد والحلول وزعيمها الحلاج.
- من خلال هذه الدراسة يلاحظ اهتمام المستشرقين والذين تم تعريفهم بأنهم هم العلماء الغربيين المشتغلين بالدراسات الإسلامية والعربية، حتى شملت دراستهم واهتماماتهم الحديث عن التصوف الإسلامي بل وألفوا فيه الكتب وكتبوا مقالات عديدة من أمثال المستشرق الإنجليزي نيكلسون.
- بينت الدراسة أبرز مظاهر النشاطات للمستشرقين فبدأت اولًا بأقامة وإنشاء الجمعيات لمتابعة الدراسات الشرقية، ثم بدأت بأصدار المجلات ثم إقامة المؤتمرات والندوات، وكان للهؤلاء المستشرقين دوافع وأهداف متمثلة بأبرزها الدافع الديني ثم الدوافع الاخرى كالدافع الاقتصادي والدافع السياسي كذلك شملت الدوافع الدافع العلمي.
- من خلال الحديث عن المستشرقين ودراساتهم يلاحظ أنهم انقسموا إلى فئات مختلفة اثناء تناولهم الدراسات الاسلامية والعربية فيمكن أختصارها بأن بعض هذه الدراسات اتسمت بعدم الموضوعية وكانت كتاباتهم مليئة بالأكاذيب والاباطيل، ودراسات اخرى موضوعية صادقة وتكتب الحقيقة بدون كذب ولا تزييف.
- ركزت هذه الدراسة على اراء بعض المستشرقين عن التصوف الاسلامي، كالمستشرقين الألمانيين ريتشورد هارتمان، وماركس هورتين، ونيسكون المستشرق الأنكليزي.
- أرجع بعض المستشرقين كانيكسون وغيره أن التصوف تأثر بعوامل خارجه عن الدين الإسلامي، وأن من اهم مصادره وأبرزها تأثرها بالفلسفة الافلاطونية الحديثة، بل هي إحدى المصادر الاساسية للتصوف.

المصادر والمراجع:

أولًا- المصادر:

(1) أحمد الاصبهاني: حلية الاولياء وطبقات الأصفياء، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ.

(2) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: لسان الميزان، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط1، د.ت.ن.

(3) عبدالحي بن أحمد العكبري الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1413هـ.

(4) عبدالحي بن فخر الدين الحسني: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1420هـ.

(5) عبدالرحمن بن علي بن الجوزي: تلبيس ابليس: تحقيق أحمد بن عثمان المزيد، دار الوطن، الرياض، ط1، 1423هـ.

(6) عبدالرحمن بن محمد بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تحقيق علي عبدالواحد وافي، نهضة مصر، القاهرة، ط1، 2004م.

(7) عبدالوهاب الشعراني: الطبقات الكبرى، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ت.ن.

(8) محمد أحمد الملطي: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تحقيق يمان الميادني، رمادي للنشر، الدمام، 1414هـ.

(9) محمد بن الحسين السلمي: طبقات الصوفية، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2010م.

(10) محمد الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق أمير علي مهنا، دار المعرفة، بيروت، 1414هـ.

(11) محمد المحبي: خلاصة الأثر في اعيان القرن الحادي عشر، دار صادر، بيروت، د.ت.ن.

(12) محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط11، 1417هـ.

(13) محمد عبدالرحمن السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، د.ت.ن.

ثانيًا-المراجع:

(14) إحسان إلهي ظهير: التصوف المنشأ والمصادر، ط1، إدارة ترجمان السنة، باكستان، 1406هـ.

(15) أحمد بن محمد الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المطبعة الخيرية، مصر، ط1، 1305هـ.

(16) سعيد مسفر القحطاني: الشيخ عبدالقادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية والصوفية، ط1، 1418هـ/ 1998م.
(17) عبدالعزيز بن أحمد البداح: حركة التصوف في الخليج العربي دراسة تحليلية نقدية، ط1، 1436هـ.
(18) محمد فاروق النبهان: الاستشراق تعريفه، مدارسه، آثاره، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو، الرباط، 1433هـ/ 2012م.
(19) محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، القاهرة، 1997م.

ثالثًا-الرسائل العلمية:

(20) عبدالقادر النفاتي: المعرفة الصوفية عند الغزالي، رسالة ماجستير، جامعة الزيتون، تونس، 1996م.

رابعًا-الدوريات:

(21) فهد بن سليمان الفهيد: نشأة بدع الصوفية، دار المنظومة.
(22) مجموع الفتاوى الشرعية، وزارة الشؤون الإسلامية، الكويت، ط1، 1417هـ.
(23) ممدوح الحربي: الصوفية وطرقها، دار المنظومه.

المصادر والمراجع:

(1) أحمد بن محمد الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المطبعة الخيرية، مصر، ط1، 5031هـ. ج1، 881.؛ عبدالعزيز البداح: حركة التصوف في الخليج العربي دراسة تحليلية نقدية، ط1، 6341هـ، ص 61.

(2) سعيد مسفر القحطاني: الشيخ عبدالقادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية والصوفية، ط1، 8141هـ/ 7991م، ص984.

(3) عبدالرحمن بن محمد بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تحقيق علي عبدالواحد وافي، نهضة مصر، القاهرة، ط1، 4002م، ص333. سعيد القحطاني: المرجع السابق، ص984.

(4) عبدالرحمن بن علي بن الجوزي: تلبيس ابليس، تحقيق:أحمد بن عثمان المزيد، دار الوطن، الرياض، ط1، 3241هـ،ج3، ص 919. عبدالعزيز البداح: المرجع السابق، ص71.

(5) هو السيد الشريف صديق حسن بن حسن بن علي الحسيني البخاري القنوجي، من أمراء الهند وعلمائها، سلفي المعتقد، بلغت مؤلفاته اثنين وعشرين ومائتين مؤلفًا، توفي سنة: (7031هـ). عبدالحي بن فخر الدين الحسني: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 0241هـ، جـ 8، ص 2421.

(6) عبدالعزيز البداح: المرجع السابق، ص71-81.

(7) هو شهاب الدين أبو حفص وأبو عبدالله عمر بن محمد بن عبدالله القرشي التيمي البكري السهروردي الصوفي ثم البغدادي، ينسب إلى سُهرَوَرد، شيخ الصوفية، توفي سنة 236هـ.

(8) محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط11، 7141هـ، جـ22، ص373..

(9) هو أحمد بن أحمد بن محمد البرنسي الفاسي المالكي، أبو العباس، زروق، فقيه محدث صوفي، له مؤلفات كثيرة، منها: شرح مختصر خليل، الحوادث والبدع. توفي سنة: 998هـ. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، محمد عبدالرحمن السخاوي، دار الجيل، بيروت، د.ن.ت، جـ 1، ص222.

(10) هو معروف بن فيروز وقيل فيرزان، أبو محفوظ الكرخي البغدادي، أحد الزهاد، توفي سنة 002هـ. الذهبي: المصدر السابق، جـ 9، ص933.

(11) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي البغدادي، يلقب بالخراز، شيخ الصوفية، توفي سنة 792هـ. عبدالحيبن أحمد العكبري الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، جـ 2، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 3141هـ، ص822.

(12) هو زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي، الغزالي، صاحب التصانيف، أشعري، صوفي، شيخه ابو المعالي الجويني، له مؤلفات

منها: إحياء علوم الدين، التهافت، توفي سنة 505هـ. الذهبي: المصدر السابق، جـ91، ص223.

(13) عبدالقادر النفاتي: المعرفة الصوفية عند الغزالي، رسالة ماجستير، جامعة الزيتون، تونس، 6991م، ص8.

(14) عبدالعزيز البداح: المرجع السابق، 12- 42.

(15) هو أحمد بن عطاء الهجيمي، البصري، القدري، المبتدع، شيخ الصوفية، متروك الحديث، توفي سنة 002هـ.

(61) الذهبي: المصدر السابق، جـ9، ص804.

(17) هو عبدالواحد بن زيد البصري، أبو عبيد، أحد الزهاد، حدث عن الحسن وعطاء، متروك الحديث، توفي بعد سنة 051هـ. الذهبي: المصدر السابق، جـ7، ص871.

(18) هو الحسن بن أبي الحسن البصري، أبو سعيد، عالم، فقيه، عابد، توفي سنة 011هـ. المصدر السابق، جـ71، ص672.

(19) مجموع الفتاوى الشرعية، وزارة الشؤون الإسلامية، الكويت، ط1، 7141هـ، جـ01، ص853- 953.

(20) هي رابعة بنت إسماعيل بن الحسين بن زيد بن علي بن أبي طالب، أم الخير، بصرية، زاهدة عابدة، توفيت سنة 531هـ. الذهبي: المصدر السابق، جـ8، ص142.

(21) عامر بن عبدالله بن الزبير: الإمام الرباني أحد العُباد. اشترى نفسه من الله ست مرات، يعني تصدق بديته ست مرات، سمع الأذان وهو يحتضر فقال: خذوا بيدي. فقيل: إنك عليل. فقال أسمع داعي الله ولا أجيبه. فأخذوا بيده حتى دخل مع الإمام في صلاة المغرب، فركع ركعة ثم مات. قال عنه الإمام مالك: كان عامر ربما انصرف من العتمة فيعرض له الدعاء فلا يزال يدعو إلى الفجر. الذهبي: المصدر السابق، جـ5، 912.

(22) طلق بن حبيب العنزي: كان طيب الصوت بالقرآن برًّ بوالديه ممن يخشى الله، لما كانت فتنة ابن الأشعث قال طلق للناس: اتقوها بالتقوى، فقيل له: صف لنا التقوى؟ فقال: العمل بطاعة الله على نور من الله رجاء ثواب الله، وترك معاصي الله على نور من الله مخافة عذاب الله. وكان يقول: إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العباد وغن نعم الله أكثر من ان تحصى ولكن أصبحوا تائبين وامسوا تائبين. قال عنه أبو حاتم: طلق صدوق يرى الإرجاء. الذهبي: المصدر السابق، ج4، ص 106.

(23) بشر بن الحارث بن عبدالرحمن المشهور بالحافي: الإمام الزاهد ولد سنة 251هـ، ورحل في طلب العلم وكان يقول: لا علم أفضل من طلب الحديث لمن اتقى الله وحسنت فيه نيته، وأما أنا فأستغفر الله من طلبه ومن كل خطوة خطوت فيه. قال عنه إبراهيم الحربي: ما أخرجت بغداد أتم عقلًا منه ولا أحفظ للسانه. كان في كل منه عقل له غيبة لمسلم. مات سنة 722هـ. الذهبي: المصدر السابق، جـ01، ص964.

(24) ذكر الملطي صاحب كتاب التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع: أن عبدك رأس فرقة من الزنادقة تنسب إليه تسمى (العبدكية)، زعموا أن الدنيا كلها حرام محرم، لا يحل الأخذ منها إلا القوت من حين ذهب أئمة العدل، ولا تحل الدنيا إلا بإمام عادل، وإلا فهي حرام، ومعاملة أهلها حرام.

(52) محمد أحمد الملطي: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تحقيق يمان الميادينى، رمادي للنشر، الدمام، ط1، 4141هـ، ص 701-801.

(26) هو احمد بن عبدالله بن احمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، ابو نعيم، الإمام الحافظ، الصوفي، الأشعري، له مؤلفات كثيرة، منها: دلائل النبوة، فضائل الصحابة، توفي سنة 034هـ. الحنبلي: المصدر السابق، جـ 3، ص542.

(27) أحمد الاصبهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 8141هـ، جـ1، ص93.

(28) هو عبدالوهاب بن أحمد بن علي الشعراني، ويقال: الشعراوي، ابو محمد، متصوف، ولد في (قلقشندة) بمصر، ونشأ بساقية أبي شعرة من قرى المنوفية، وإليها نسبته، له مؤلفات كثيرة منها: كشف الغمة عن جميع الأمة، اليواقيت والجواهر في عقائد الاكابر، توفي سنة 379هـ. الحنبلي: المصدر السابق، جـ 01، ص445.

(29) هو محمد عبدالرؤوف بن تاج الدين بن علي المناوي القاهري الشافعي، زين الدين، انزوى للبحث والتصنيف، له نحو ثمانين مصنفًا، منها: فيض القدير شرح الجامع الصغير، كنوز الحقائق. توفي سنة 1301هـ. محمد المحبي: خلاصة الأثر في اعيان القرن الحادي عشر، دار صادر، بيروت، من غير تاريخ للنشر، جـ2، ص 214.

(30) هو ثوبان بن إبراهيم وقيل فيض بن أحمد، يكنى: أبا الفيض، ويقال: ابا الفياض، واعظ، زاهد، قليل الرواية في الحديث، وكان لا يتقنه. توفي سنة 542هـ. الذهبي: المصدر السابق، جـ11، ص235.

(31) هو أحمد بن أبي الحواري الثعلبي الغطفاني الدمشقي، يكنى ابا الحسن، واسم أبيه عبدالله ميمون، زاهد صوفي، توفي سنة

(23) 642هـ. الحنبلي: المصدر السابق، جـ2، ص011.

(33) ابن الجوزي: المصدر السابق، ص761.

(34) هو أبو حمزة محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي، جالس بشر الحافي والإمام احمد، له انحراف وشطح له تأويل توفي سنة 962هـ. الذهبي: المصدر السابق، جـ31، ص561..

(35) يوسف بن تغري بردي الأتابكي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، ط1، 1531هـ، جـ 3، ص64.

(36) هو أحمد بن عيسى البغدادي الخراز، أبو سعيد، شيخ الصوفية، تكم في الفناء والبقاء، فولد امرًا كبيرًا به كل اتحادي ضال. توفي سنة 772هـ. الذهبي: المصدر السابق، جـ31، ص914.

(37) هو الحارث بن أسد البغدادي المحاسبي، أبوعبدالله، شيخ الصوفية، ورد أن الإمام احمد حذر منه، له مؤلفات منها: رسالة المسترشدين، الإخلاص والنية، توفي سنة 342هـ. الحنبلي: المصدر السابق، جـ 1، ص301.

(38) هو عبدالله بن علي الطوسي، ابو نصر السراج، الزاهد، شيخ الصوفية، توفي سنة 873هـ. الحنبلي: المصدر السابق، جـ4، ص314.

(39) هو ابو طالب محمد بن علي بن عطية، الحارثي، المكيي المنشأ، العجمي الأصل، شيخ الصوفية، توفي سنة 683هـ. الذهبي: المصدر السابق، جـ 81، ص 635.

(40) هو حمدون بن احمد بن عمارة النيسابوري، ابو صالح، شيخ الصوفية، قدوة الملامتية، توفي سنة 172هـ. الذهبي: المصدر السابق، جـ31، ص05.

(41) هو أحمد بن محمد الخراساني البغوي، شيخ الطائفة بالعراق، له عبارات تعلق بها من انحرف من الصوفية، توفي سنة 592هـ. محمد بن الحسين السلمي: طبقات الصوفية، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 0102م، ص531.

(42) هو الحسين بن منصور بن محمي، ابو عبدالله، ويقال: ابو مغيث، تبرأ منه سائر الصوفية والمشايخ والعلماء؛ لسوء سيرته وموقة، ومنهم من نسبه إلى الحلول، ومنهم من نسبه إلى الزندقة. توفي سنة 903هـ. الذهبي: المصدر السابق، جـ 41، ص313.

(43) 39() -علي بن عبدالله بن عبدالجبار الشاذلي: شيخ الطائفة الشاذلية الضرير الزاهد نزيل الأسكندرية، مات بصحراء عيذاب في طريقه إلى الحج سنة 656هـ. الحنبلي: المصدر السابق، جـ5، ص543.

(44) أحمد بن علي بن يحيي الرفاعي الزاهد مؤسس الطريقة الرفاعية وتسمى الأحمدية، والبطائحية، ولد بالعراق وتفقه وتصوف فانضم إليه خلق كثير وهو مغربي الأصل. مات سنة 875هـ. الذهبي: المصدر السابق، جـ12، 77.

(45) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جـ11، ص 544.

(46) الأشاعرة: من طوائف اهل الكلام، ينتسبون إلى ابي الحسن الأشعري ت423هـ، يقولون بإثبات سبع صفات فقط، وأن الإيمان هو التصديق بالقلب، وفي القدر يميلون إلى الجبر. محمد الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق امير علي مهنا، دار المعرفة، بيروت، ط3، 4141هـ، جـ1، 911.

(47) هو احمد بن علي بن إبراهيم الحسيني، ابو العباس البدوي، تنسب غليه الطريقة الأحمدية، ولد بفاس من المغرب، وانتقل منها إلى طنطا بأرض مصر، توفي سنة 576هـ. الحنبلي: المصدر السابق، جـ5، ص543.

(48) هو محمد بن محمد البخاري، ويلقب ببهاء الدين خواجهنقشبند، إليه منتهى الطريقة النقشبندية، توفي سنة 197هـ. محمد السلمي: المصدر السابق، جـ4، ص832.

(49) هو شرف الدين عمر بن علي بن مُرشِد الحموي ثم المصري، أشعر المتصوفين، صاحب الاتحاد، يلقب بسلطان العاشقين، توفي سنة 236هـ. الذهبي: المصدر السابق، جـ22، ص863.

(50) هو محمد بن علي الطائي الحارثي الأندلسي، من القائلين بوحدة الوجود، كفره كثير من علماء السنة، له مؤلفات منها: الفتوحات المكية، فصوص الحكم. توفي سنة 836هـ. الحنبلي: المصدر السابق، جـ5، 091.

(51) هو ابو محمد عبدالحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر الإشبيلي، الصوفي المشهور، من القائلين بوحدة الوجود، توفي سنة 966هـ. احمد بن علي بن حجر العسقلاني: لسان الميزان، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط1، من غير تاريخ نشر، جـ3، ص293.

(52) سعيد القحطاني: المرجع السابق، ص305.

(53) ممدوح الحربي: الصوفية وطرقها، دار المنظومة ص81- 91.

(54) إحسان إلهي ظهير: التصوف المنشأ والمصادر، إدارة ترجمان السنة، باكستان، ط1، 6041هـ/ 6891م، ص 132- 332.

(55) فهد الفهيد: نشاة بدع الصوفية، دار المنظومة، ص401- 501.

(56) فهد الفهيد: المرجع السابق، ص 601- 701.

(57) فهد الفهيد: المرجع السابق، ص701- 901.

(58) محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، القاهرة، 7991م، ص 81.

(59) محمد فاروق النبهان: الاستشراق تعريفه، مدارسه، آثاره، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو، الرباط، 3341هـ/ 2102م، ص 21.

(60) محمد فاروق النبهان: المرجع السابق، ص 21- 31.

(61) محمود حمدي زقزوق: المرجع السابق، ص34- 44.

(62) محمود حمدي زقزوق: المرجع السابق، ص 44- 54.

(63) محمود حمدي زقزوق: المرجع السابق، ص37- 97.

(64) إحسان إلهي ظهير: المرجع السابق، ص 79.

(65) إحسان إلهي ظهير: المرجع السابق، ص79-89.

(66) إحسان إلهي ظهير: المرجع السابق، ص99.

(67) إحسان إلهي ظهير: المرجع السابق، ص821- 921.

(68) إحسان إلهى ظهير: المرجع السابق، ط1، ص 121.

البيئة النباتية لشبه الجزيرة العربية
(دراسة تاريخية تحليلية)

أ.فيصل بن سالم بن محمد الشدقاء

محاضر -تاريخ قديم - قسم التاريخ والحضارة
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
المملكة العربية السعودية

المستخلص:

يتناول البحث ما كتبه المؤرخون الكلاسيكيون من اليونانين والرومان والبلدانيين العرب عن البيئة النباتية في شبه الجزيرة العربية من أشجار ونباتات طبيعية كالحشائش والنباتات البرية في الجبال والصحاري والنباتات الزراعية، وذكر العديد من المزروعات ذات الرائحة العطرة وأهمها: اللبان والمر والكاسيا والقرفة والتمور والعنب والبخور والتوابل، والنباتات والأعشاب الطبية والأدوية ومضادات السموم، ويهدف البحث معرفة ما لهذا التنوع البيئي النباتي من تأثير اقتصادي مهم على حياة إنسان شبه الجزيرة العربية وتفاعلاته وتأثيره وتأثره وصلاته بشعوب العالم القديم، وأطماع قوى العالم القديم في هذه الثروات ومحاولة السيطرة عليها، وقد استخدم الباحث في هذه الدراسة منهج وصفي تاريخي استقرائي تحليلي يبحث في هذه المصادر الكلاسيكية عن ما ذكر عن البيئة النباتية في شبه الجزيرة العربية ومقارنته بما ورد لدى البلدانيون العرب بما يفي بالدراسة، ليتوصل إلى نتائج مهمةتأثير البيئة النباتية علىإنسان شبه الجزيرة العربية وما ينتج عنه من تفاعله مع بيئته وتطويعها للاستفادة منها، وإيراد أهم النباتات الطبيعية والزراعية التي تم ذكرها في المصادر الكلاسيكية والعربية سواءً الغذائية أو الدوائية والعطرية، وتوضيح الغرض من استخدامها، وتم ذكر الأشجار وأنواعها، وأيضاً الموارد الاقتصادية للنباتات الطبيعية والزراعية ومردودها على حياة إنسان شبه الجزيرة العربية وعلى رفاهيته ونتج عنها من معرفته بالطرق التجارية مع دول وشعوب العالم القديم وسيطرته عليها، وأيضاً نتج عن أهمية البيئة النباتية أطماع ومحاولات القوى المجاورة شبه الجزيرة العربية واحتلالها كالحملة الرومانية التي قادها إيليوسجاللوس ورافقه المؤرخ الروماني استرابون/ استرابو.

الكلمات المفتاحية: المصادر الكلاسيكية، اليونان، البلدانيين العرب، الجزيرة العربية.

Abstract:

This study provide a comparative study between what was written by the classical (Greek and Roman) writers and the Arab historians and travelers about the plant and agricultural environment in the Arabian Peninsula.Such as trees and natural plants like grassesand wild plants in mountains, deserts and agricultural.They mentioned many fragrant-smelling plants, like frankincense, myrrh, acacia arabica, cinnamon, dates, grapes, incense and spices. Also Medicinal plants, herbs, medicines and antitoxins.The research aims to know the important economic impact of this plant environment on the life of the people of the Arabian Peninsula and its interactions, impact, influence and his relationships with the people of the ancient world.Also the attempts of neighboring empires in these riches and trying to control them. The research followed the historical analytical descriptive method to reach to the information in the Classical resources to took about the plant environment in the Arabia and comparative with Arab resources to reach to the important result about their life's, influence and benefits. Clarifying the most important natural and agricultural plants that were mentioned in the classical and Arab sources, whether they are food, herb and aromatic plants, and trees kinds and clarifying the purpose of their use.Also its economic resources.The importance of the plant environment led to the attempts of occupation. Such as the Romanmilitary campaign led by Aelius Gallus in 2524/ BC and accompanied by the Roman historian Strabo.

Key Words:Environment, Arabian Peninsula, Greeks, Romans, Arad geographers, ancient history.

مقدمة:

لقد تميزت شبه الجزيرة العربية بموقعها الاستراتيجي الهام الذي يتوسط الشرق والغرب، حيث تقع شبه الجزيرة العربية بين خطّي عرض 12َ، 32 درجة شمالا، 30َ، 12 درجة جنوبًا متخذة شكلا مستطيلا، وتبلغ مساحتها

أكثر من مليون كلم مربع بقليل، ومن ثم فهي أكبر شبه جزيرة في العالم، لهذا كانت حلقة الوصل بين أجزاء العالم القديم حيث لا يتم اتصال بين الشرق والغرب في البر والبحر إلا عن طريقها وبواسطة سكانها، علاوة على ما حباها الله سبحانه وتعالى من خيرات تفردت بها، لهذا أصبحت محطّ أنظار القوى المجاورة كالبابليين والآشوريين والمصريين والإغريق والرومان والفرس والأحباش، ولم تكن تلك الأهمية مقصورة على جوانب اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية بل أن المؤثر الأهم على كل هذه الجوانب هو البيئة لشبه الجزيرة العربية من مناخ وجغرافيا المؤثرة على حياة إنسانها ونشاطه وعلاقاته مع مجتمعه ومحيطه، لذا نجد أن هذه البيئة والجغرافيا وردت في ثنايا كتب الكلاسيكين والبلدانيين العرب، وهنا نلقي الضوء على البيئة النباتية لشبه الجزيرة العربية، وذلك لما اشتهرت الجزيرة العربية قديماً بالعديد من الموارد الاقتصادية، سواءً كانت نباتات طبيعية تنبت في الطبيعة أو تزرع في أراضيها الزراعية، وبتنوع مساحة شبه الجزيرة العربية وتنوع المناخ بها كانت لها مصدراً للنماء الاقتصادي، على الصعيد الداخلي والخارجي، فكان العرب قديماً يتبادلون السلع التجارية فيما بينهم أو التجارة مع العالم القديم، فقد برع العرب في التحكم بالطرق التجارية بين الهند وأفريقيا ودول ساحل البحر الأحمر في الإمبراطوريات القديمة، ومن أهم تلك الموارد التي اشتهر بها العرب قديماً هي تجارة التوابل والبخور الذى اشتهروا به، وأيضاً معرفتهم بالأعشاب الطبية والتداوي بها وصناعات الأدوية ومضادات السموم، وحافظ العرب قديماً على تلك المصادر التي لديهم، بالرغم من المحاولات المتكررة من القوى السياسية آنذاك كالقوة اليونانية ثم الرومانية، للسيطرة على تلك التجارة للموارد التي لديهم، ولم يستطيعوا، برغم من الحملات العسكرية المستمرة، ولكن قد سجل لنا الكتاب الكلاسيكيون والبلدانيين العرب، أسماء تلك الموارد من البخور واللبان والقرفة والبلسم، والزيوت والبلح، وبشكل خاص البخور الذى كان يستخدم كميات هائلة منه لحرقها في المعابد والمقابر نتيجة لارتباط عقائدهم الوثنية بالسحر، واعتقادهم أن للبخور قوة سحرية عند حرقه، وهذا بالإضافة أنه المادة الرئيسية للتعطير في العصور القديمة، وبذلك تكون سلع البخور عصب اقتصاد هذه المنطقة، وأهم السلع والمنتجات.

النباتات الغذائية والدوائية والعطرية:

سنتناول أدناه ماأورده الكتّاب الكلاسيكين(اليونانيين والرومان) عن النباتات الغذائية والدوائية والعطرية في كتاباتهم عن شبه الجزيرة العربية:

السيرخانوموالجاباليوم:

وهنـــاك أيضـــاً تتجمـــع نباتـــات الســـيرخاتوم (serichatum) والجاباليـوم(gabalium) العطريـة التـي يسـتهلكها العـرب فيمـا بينهـم، والمعروفـة فقـط لنـا بالاسـم في هـذا الجـزء مـن العالـم، عـلى الرغـم مـن أنهـا تنمـو في البـلاد نفسـها مثـل القرفـة والقرفـة البريـة. ولكـن نبـات السـيرخاتومالعطري يصـل إلينـا أحيانـاً، ويسـتعملهبعضهم فيالمراهم.([1])يتضـح مـن سـياق حديـث المـؤرخ الإغريقـي بلينويوسـبأنه نبـات عطـري ينمـو في جزيـرة العـرب ولـه أغـراض طبيـة وعطريـة في نفـس الوقـت، ولكـن المهتمـين لـم يعرفـوا شـيئاً عـن هـذه النباتـات.

البلسَم:

ولكـن البلسـم (balsamum) يفضلـه الإغريـق (اليونانيـين) عـلى كل أنـواع العطـور الأخـرى، حيـث يسـتخدمونه في بعـض مسـتحضرات التحميـل والعطـور والصناعـات الدوائيـة، ويعتـبر مـن الأشـياء الثمينـة للهدايـا الملكيـة لديهـم حيـث كانـت الملكـة كليوباتـرا تسـتخدمه بكثـرة وتهديـه للقـادة وكبـار الشـخصيات، وقـد أعطـي هـذا النبـات فقـط لأراضي يهـودا([2])، وهـو أكثـر شـبهاً بنبـات الكـروم منـه إلى نبـات الآس. وحديثـاً صـار معلومـاً أنـه ينبـت مـن براعـم نبـات الآس، ويربـط عـلى التعريشـات مثـل الكـروم، ويغطـى التـلال مثـل الكـروم. ويحمـل البلسـم نفسـه دون الحاجـة إلى دعامـات، ويشـذب بطريقـة مماثلـة عندمـا تطلـع براعمـه. وتقليـب تربتـه يجعلـه ينمـو بقـوة، وتنبـت أوراقـه بسرعـة، ويثمـر في العـام الثالـث. وأوراقـه قريبـة الشـبه مـن أوراق التفـاح، وهـي خـضراء عـلى الدوام([3]).ولـم يكـن سـابقاً أبـداً أكثـر إثمـاراً منـه الآن، ولا يتجـاوز ارتفاعـه ذراعـين([4]).

عصارة البلسم ومنتجاته:

وتتسـاقط العصـارة مـن الشـقوق، وتسـمى عصـارة البلسـم، ومذاقهـا حلـو للغايـة، ولكنهـا تتسـرب في صـورة قطـرات بالغـة الصغـر. ثـم تجمـع في قـرون مـن خصـلات الصـوف، وتحفـظ في أوعيـة فخاريـة جديـدة. وهـي شـبيهة بالزيـت الثقيـل، ولونهـا أبيـض عندمـا تكـون طازجـة، وتتحـول بعـد ذلـك إلى اللـون الأحمر، وفى الوقـت نفسـه تتصلـب، وتفقـد شـفافيتها. كان مـلء وعـاء واحـد بهـذه العصـارة يتطلـب عمـل يـوم كامـل في الصيـف. وكان الإنتـاج الكامـل لحديقـة كبـيرة للغايـة هـو سـتة جالونـات، ولحديقـة صغـيرة جالونـاً واحـداً. وكان يبـاع في أثينـا بضعـف وزنـه فضـة، وفى أيامنـا هـذه (أيـام المؤلـف) يمـلأ إنتـاج شـجرة واحـدة وعـاء أكـبر، وتعمـل الشـقوق ثـلاث مـرات كل صيـف، وبعـد ذلـك تشـذب الشـجرة. وأغصـان هـذا النبـات لهـا أيضـاً سـوق، وهـذه الأغصـان المقطوعـة تسـمى خشـب البلسـم، وهـي تغـلى في العطـور، وفى المعامـل تحـل محـل عصـارة النبـات. وللحـاء سـعر

كبير موازنة بالأدوية، ولكن القطرات ذات قيمة ممتازة. أما البذور فتأتي في المرتبة الثانية، واللحاء في الثالثة، والخشب أدنى شأناً.(5) ويلاحظ هنا الاستفاضة من الكاتب والشرح والتحليل وسرد ما قد اطلع عليه من الكتب السابقة له، وبعض المعلومات من أباطرة الرومان أحياناً، ولكن الشرح جاء بوصف النبات وطريقة زراعته ومواسم الحصاد وفترة النمو للنبات، ثم شرح لكيفية حفظ هذه المواد ونقلها إلى المراكز التجارية لكي يتم بيعها أو تبادلها بسلع أخرى، وقد أعطانا شرح للقيمة المادية للبلسم وبيع جميع أجزاء النبات وكيف أن كل منها له الأهمية تجارية لديهم.

رافقت النخلة الإنسان العربي منذ أقدم العصور والحقبالتأريخيةالمختلفة، وهي الشجرة أو النبتة الوحيدة التي ورد ذكرها في كل الكتب السماوية(التوراة والإنجيل والقرآن الكريم)، كما خصها أكثر الكتاب والفلاسفة العرب في كتبهم ومؤلفاتهم وبحوثهم وأشعارهم، كما قدست عند الكثير من الأقوام القديمة في وادي الرافدين ووادي النيل ووادي السند، وفي الجزيرة العربية قبل الإسلام، والنخلة من أهم الأشجار الاقتصادية والصناعية والغذائية في الوطن العربي ولاسيما في منطقة الجزيرة العربية. ولهذه الشجرة سجل عريق وحافل في موكب التأريخ والفكر والحضارة والإنسانية، ومن المعروف أن النخلة تنتمي إلى وحيدات الفلقة، وهي تتميز بمظهرها السامق، سواء كان على شكل أشجار أو شجيرات. وتتميز الأشجار بأن لها جذعاً اسطوانياً كالعمود، كثيراً ما يكون باسقاً بالغ الطول. وهي تعود بدورها إلى الفصيلة النخلية (Plamaeae)، وإلى الجنس المعروف (Phoenix)، وهي النوع المعروف باسم (Dactylifera).(6)

نخيل بلاد العرب:

ويقولون إنّ التمر في بلاد العرب مذاقه حلو ضعيف، على الرغم من أنّ المؤرخ الروماني يوباالأوليحدد أنه يفضل تمر العرب الإسكينيتاي/ سكان الخيام، المعروف بدابلاس (dablas) على كل الأنواع الأخرى بسبب طعمه. وفيما يتعلق بالمسائل الأخرى فإنهم يؤكدون أن أشجار النخيل الأنثوية الطبيعية لا تنتج مالم تكن هناك أشجار نخيل ذكور، وأن كل شجرة ذكورية محاطة بعدد من النخيل المؤنث بسعفها الأكثر جاذبية المتجه نحوه،في حين يقف النخل الذّكر بسعفه الخشن يلقح النخيل المؤنث بزفيره أو بمجرد النظر إليه، أو أيضاً بغبار طلعه. وإذا قطعت الشجرة الذكورية فإن أشجار النخيل الأنثوية تصير غير مثمرة في أثناء توقف تلقيحها. هذا ما يفهم من طريقة التلقيح عندهم.(7)

أنواع التمر واستعمالاته:

توجد أيضاً أنواع كثيرة تختلف في الشكل بعضها أكثر استدارة والآخر أكثر طولاً، وأيضاً تختلف في اللون، فبعضها أشد سواداً والآخر أحمر. ويقولون إن لها أنواعاً كثيرة من الألوان مثل التين، واللون الأبيض هو الأكثر استحساناً، وهي أيضاً تختلف في الحجم، وكثير منها يصل طوله إلى ذراع واحد، في حين أن بعضها ليس أكبر حجما من حبة الفول.([8])

يلاحظ أن ذكر النخيل وأنواع التمور لم يلقى نفس الاهتمام لدى الكلاسيكيون مثل استرابون كباقي أنواع الأشجار العطرية والطبية عكس البلدانيين العرب فقد تناول العديد منهم ذكره ووصفه بالتفصيل وذكر أنواعه وأماكن زراعته.

والنخيل وبه يفترق الطريق إلى الجوف ومأرب من وادى خب،([9]) جبل دقرار، وهو من الجبال المسنمة ومنها السويق وتحتم، ومن أذنة ما سفل من رحبة ورحابة وكان بها نخيل عظيم، وكان أكثر تمر صنعاء منها وبها جنس يقال له الونش.([10])

نخل:

معروف وهو شجر التمر كالنخيل وهكذا في العباب وظاهر كلامهما أنه استعمل كالنخل وهو اسم جنس جمعي واستعمل جمعاً لنخله، وقال أبو حنيفة أهل الحجاز يؤنثونه وفس التنزيل العزيز والنخل ذات الأكمام، واستعار أبوحنيفة النخل لشجر النارجيل تحمل كبائس فيها الفوفل أمثال التمر.([11])

نخل:

نخل الشيء نخله نخلاً وتنخَّله وانتخله: صفَّاه واختاره، وكل ما صفى ليعزل لبابه فقد انتخل وتنخل، والنخالة: ماتنخّل منه، والنخل: شجرة التمر، والجمع نخل.([12])

يتضح اهتمام البلدانيون العرب بذكر النخلة ووصفها وذكر ثمارها وأماكنها وأهميتها الغذائية ولما لها من رمزية لدى سكان الجزيرة العربية.

اللادانوم في بلاد العرب:

لاتزال بلاد العرب تفتخر أيضاً بنبات اللادانوم/ اللادن(Ladanum) ([13]). أشار بعض المؤرخين الكلاسيكيين مثل هيرودوتوس إلى أنها تنتج من بلاد العرب، وكان يحصل عليها من ذقون الماعز، وأنها تدخل في صناعة العطور، ويرى بلينيوس أنها كانت من محصولات العرب الأنباط.([14])

وأيضاً جاء وصف لأنواعه وشكله وطريقة جمعه وأماكن زراعته،

وأسعاره وطرق غشه بشكل دقيق وتفصيلي. كان اصطلاح «الطيوب العربية» في العصر القديم أشمل من معناه في العصر الحديث، حيث كان يعنى المواد التي تنبعث منها عند حرقها رائحة زكية: كالعطور والمراهم والمواد العطرية ذات المذاق المستساغ التي تستخدم في الطعام والشراب والمواد التي تجدد الشباب وتطيل العمر نظراً لأهميتها الطبية والسحرية، وكان من بينهم أيضاً المواد المضادة للسموم، ويعد اللبان الذكر(Frankincense) والمر(Myrrh) النوعان الأساسين في البخور العربي، ولبان هو عبارة عن لبانة حمضية، أو بتحديد أكثر لبانة حمضية زيتية يمكن استحلابها ومنها أنواع متعددة، فالنوع الذي ينتمي إلى العائلة النباتية التي تسمى بورسيركاى(Burseraccae) يتم جنيه عن طريق عمل شقوق في اللحاء، وتعد كل من بلاد العرب وسوقطرة وشرق إفريقيا والهند هي الموطن الأصلي لهذا النوع.([15])

نبات الخباز في بلاد العرب:

الخبازة(mallows) أو الخبيزة نبات عشبي يراوح ارتفاعه بين 10-50سم، وأوراقه مستديرة الشكل وهو من النباتات الواسعة الانتشار في مختلف بلدان العالم، والخبازة في بلاد العرب تصير شجرة في سبعة أشهر، وتستعمل عصا للسير.([16]).

نبات أبى خنجر في بلاد العرب:

حصل نبات أبى خنجر على اسمه ناستورتيتوم (nasturtium)، من جراء الألم الذي كان يحدثه لفتحتي الأنف(naris) وللإحساس بالقوة المصاحبة له فإن هذه التسمية أصبحت تستعمل مثلا سائراً للإشارة إلى أنه منشط للتخلص من الكسل، ويقال إنه ينمو بحجم كبير لافت للنظر في بلاد العرب،([17]) يتضح من سياق حديث الكاتب أنه في كل بلاد العرب.

أدوية بلاد العرب:

أشار بلينيوس أن بلاد العرب تحظى بالتقدير لدى بلاده روما فيما يتعلق بالأدوية، وضرب أمثلة على تلك الأدوية والأمراض المتعلقة بها حيث ذكر أن القرحة الصغيرة يجلب لها علاج من البحر الأحمرولم يذكر اسم الدواء كما ذكره لغيره من الأمراض الأخرى، على الرغم من أن الأدوية الأصلية يتناولها الأفقر من الناس يومياً. ولكن إذا بحث عن الأدوية في مزارعنا، وإذا استخرج من ذلك النبات أو تلك الشجيرة، فإنه لن توجد مهارة أخرى أرخص. وأنه لأمر حقيقي أن الشعب الروماني بسبب عظمته تخلى عن عاداته؛ وعلى الرغم من انتصاراتنا (الرومان) فإننا هزمنا، وصرنا خاضعين للأجانب، وفي إحدى المهن هم تسيدوا حتى على ساداتهم.([18])

ويوضح النص لنا أن العرب قد استخدموا النباتات في إنتاج الأدوية والعقاقير والمراهم، وتصديرها إلى العالم القديم (يقصد بالعالم القديم قارات آسيا وأفريقيا وأوروبا)في علاج الأمراض قديماً، وانتشرت في أرجاء العالم بالتالي يوضح لنا تقدم العرب في مجال الطبي والعلاج، واحتفاظهم بتلك الأسرار العلاجية للصناعة.

الشوك العربي (thorn) وهو السنط، ويعرف أيضاً باسم الأكاسيا العربية (Acacia Arabica) نبات يعيش في المناطق الحارة، وهو على أنواع عدة يمتاز بطول الأشواك، له عدة استعمالات دوائية لدى شعوب الشرق القديم،يعالجكل أنواع الزكام، ويزيد حدة طرد الدم، والحيض المفرط، ولجذره فاعلية أكبر. وتساعد بذور الشوك الأبيض على علاج لدغات العقرب. وعندما يوضع فوق الرأس فإنه يخفف آلام الرأس. وثمة نبات مشابه له يطلق عليه اليونانيون اسم أكانثيون (acanthion) ولكن أوراقه أقصر بكثير ومدببة، ومغطاة بالوبر مثل خيط العنكبوت. وهذه المادة الوبرية تجمع في الشرق القديم (يقصد بالشرق القديم الجزيرة العربية ومصر الفرعونية القديمة وسوريا وبلاد الرافدين والأناضول وبلاد فارس) لصناعة ملابس تشبه الملابس الحريرية. وتؤخذ أوراقه أو جذره شراباً لعلاج مرض تقوس الظهر(opisthotony).([19])

نلاحظ أيضاً معرفة العرب بالأودية المضادة للدغات الأفاعي والعقارب والسموم والتي كانت منتشرة في شبه الجزيرة العربية. ونجد بلينيوس يشير لبعض سكان ومناطق الجزيرة العربية التي لها نشاط تجاري مهم يعتمد على الطيوب والنباتات العطرية والزراعية فيذكر قبائل السبئيين، وهي أشهر قبائل العرب بسبب طيوبها، وتمتد هذه القبائل من البحر إلى البحر (ربما يقصد بلينيوس أن امتدادها من بحر العرب جنوباً إلى البحر المتوسط شمالاً بمحاذاة البحر الأحمر، أو من الخليج العربي شرقاً إلى البحر الأحمر غرباً)([20])، والتي يجلب إليها التجار العطور(الطيوب- التوابل) للتصدير.([21]) والعاصمة الملكية لكل هذه القبائل هي مأرب (Mariaba/ Maribatta)، وهى تطل على خليج يبلغ مداه مسافة أربعة وتسعين ميلاً، وهو ملآن بالجزر التي تنتج الطيوب.([22]) وأشار أيليوسجاللوس (Aelius Gallus) قائد الحملة الرومانية على جنوب الجزيرة العربية عام 25/24 ق.م عند عودته بعد فشل الحملة في أنّ قبائل البدو الرحل تعيش على ألبان الحيوانات الوحشية ولحومها، وأنّ القبائل الأخرى، تستخرج النبيذ من أشجار النخيل، والزيت من السمسم، وأنّ قبيلة الحميريين هم أكثر القبائل عدداً، وأنّالمعينيين كانوا يملكون

أراضي خصبة منتجة للنخيل ، وثروتهم كبيرة من قطعان الماشية، وأنّالسبئيين هم أكثر القبائل ثراء بسبب خصوبة غاباتهم المنتجة للطيوب، وبوجه عام هم أغنى شعوب العالم، لأنّ ثروة واسعة تتدفق إليهم من الرومان والبارثيين، كما أنهم يبيعون ما يحصلون عليه من البحر أو من غاباتهم، وفي المقابل لايشترون شيئاً.([23])

أما بلاد العرب التي يلقبها الناس في وقتنا هذا بالسعيدة فإنها لم تكن سعيدة عندئذ بل كانت نفسها فقيرة الموارد. وكان جزء كبير منها من ساكني الخيام، وكان جزء صغير منها فقط هو الذى ينتج العطور، وبفضله حصلت المنطقة على هذا الاسم، على أساس أنّ مثل هذه التجارة في تلك المنتجات نادرة وذات قيمة كبيرة بيننا، وفي حين كان التاجر المسافر على جمله يستطيع بفضل هذه العطور أنّ يحقق وفرة بتجارته في هذه البضائع.([24])

ربما هنا يقصد أن الكميات الكبيرة التي تصدر إلى الإمبراطورية في العالم القديم لم تكن تنتج في بلاد العرب فقط ولكن ربما أيضاً تشير إلى دور الوسيط التجاري بين بلاد الهند وشرق إفريقيا كوسيط تجارى بين بلاد الشرق وحوض البحر المتوسط.

وفى منطقة الخليج العربي أنواع الأعشاب ذات الأشواك، الحمضي Chenopods، والسنط Acacia والأوراد الصحراوية وفى الشتاء يكثر الكمأ. وتنمو في الواحات مختلف أنواع النباتات وقد أحصى جيسمان 35 نوع من النباتات، جميعها من واحة الأحساء منه ثلاثة عشر تزرع و22 وحشية، وإن تغير المناح أثر على تنوع الحياة النباتية والحيوانية.([25])

كمء:

نبات ينفض الأرض فيخرج كما يخرج الفطر وقيل هو شحم الأرض والعرب تسميه جدري الأرض، وقال الطيبي: شيء أبيض من شحم ينبت من الأرض يقال له شحم الأرض أكمؤ كفلس وأفلس وكمأة كتمرة وقيل الكمأة: هي التي إلى الغبرة والسواد والجبأة إلى الحمرة.([26]) وهو نبات برّي أو صحراوي ينبت في الصحاري وقت الشتاء والأمطار، يطهى ويؤكل وطعمه لذيذ، له العديد من الأنواع ويباع بأسعار متفاوتة يباع بالوزن، وينتشر حالياً في المملكة العربية السعودية وبعض دول الخليج العربي ويعرف لدى العامة باسم الفقع.

منتجات بلاد العرب:

تنتج بلاد العرب القرفة والطيب والنباتات العطرية الأخرى. وهي تتشابه معها بسبب أشعة الشمس، ولكنها تختلف في وفرة المياه.([27])وفيما وراء

هـؤلاء أراضي سـكان بـلاد العـرب السـعيدة عـلى بعـد عـشرة آلاف ومئتـي إسـتاديون باتجـاه الجنـوب حتـى البحـر الأطلنطـي، والإسـتاديون وحـدة قيـاس مسـافات عنـد اليونـان يـراوح طولـه بـين 176و 209. وتملـك هـذه الأراضي أولى جماعـات المزارعـين بعـد السـوريين واليهـود، في حـين تتصـف الأرض الواقعـة بعـد هـؤلاء بأنهـا صحـراء جـرداء وتنتـج القليـل مـن النخيـل والأكانثـوس والطّرفـاء، وبهـا آبـار للميـاه؛ أمـا أقـصى الأطـراف الجنوبيـة المواجهـة لإثيوبيـا فتسـقط عليهـا أمطـار صيفيـة، وتـزرع مرتـين في العـام، وبهـا أنهـار تتفـرع مياههـا في الوديـان والبحـيرات، وهـى غنيـة بالثمـار مـن كل الانـواع، وكذلـك وفـيرة العسـل، وبهـا كل أنـواع الحيوانـات سـوى الخيـول والبغـال والخنازيـر، وبهـا كل أنـواع الطيـور سـوى الإوز والطـاووس.([28])

وتنتـج قتبانيـا/ قتبـان ((Kattabania اللبـان والمـرّ الحضرمـي، وتقايـض هـذه النباتـات العطريـة وغيرهـا مـع التجـار الذيـن يأتـون إليهـم مـن الأيلانايـين(Ailanaoi) في سـبعين يومـاً([29]) ربمـا إشـارة إلى أنـواع التبـادل التجـاري الـذي يتـم بـين العـرب وجيرانهـم مـن منتجـات، والإشـارة إلى المـدة المسـتغرقة في الرحلـة التجاريـة. وبالقـرب مـن هـذا المـكان إقليـم السـبئيين، وهـو أكثـر المناطـق خصبـاً، وزاخـر جـداً بالسـكان، ويخـرج منـه المـرّ واللبـان والقرفـة. وعـلى سـاحله البلسـم ونـوع آخـر مـن الأعشـاب ذات الرائحـة الطيبـة، السريعـة التطايـر. وفيـه أيضـاً أشـجار نخيـل ذات رائحـة طيبـة وأشـجار بـوص.([30])

ربمـا النـص يـدل عـلى الثـراء الـذي تمتعـت بـه مدينـة سـبأ سـابقاً لأنهـا تنتـج جميـع أنـواع الطيـوب والبخـور، والنخيـل ومـا ينتـج مـن ثمـاره. أمـا عامـة النـاس فيعملـون في الزراعـة، ويتاجـر بعضهـم الآخـر في النباتـات العطريـة الموجـودة في أراضيهـم وتلـك الآتيـة مـن إثيوبيـا، ولديهـم وفـرة كبـيرة مـن هـذه المـواد العطريـة حتـى أنهـم يسـتعملون القرفـة والكاسـيا والنباتـات العطريـة الأخـرى بـدلاً مـن الأعشـاب والحطـب في إشـعال النـار. وفي أراضي السـبئيين أيضـاً نبـات يسـمى لاريمنـوم(Larimnum) وهـو ذو رائحـة عطريـة قويـة جـداً (تشـير بعـض القواميـس إلى أن اللاريمنـوم تسـمية عربيـة لنبـات اللبـان أو البخـور).([31])

أراضي البخور وسكانها:

كمـا ذكرنـا مـن قبـل، فـإن الأراضي المنتجـة للبخـور تنقسـم إلى أربعـة أجـزاء. وأنهـم يقولـون إن اللبـان والمـرّ مـن بـين جميـع النباتـات العطريـة يخرجـان مـن أشـجار، أمـا الكاسـيا فإنهـا مـن شـجيرات، وطبقـاً لتقسـيم آخـر للبـلاد فـإن كل بـلاد العـرب السـعيدة تنقسـم إلى خمـس ممالـك: تضـم إحداهـا المقاتلـين الذيـن يحاربـون نيابـة عـن الجميـع، وتضـم أخـرى المزارعـين الذين يحصـل الآخـرون منهم عـلى الغـلال. وتضـم الثالثـة العاملـين في الحـرف والصناعـات، والرابعـة العاملـين في

منطقة إنتاج المرّ، والخامسة في إنتاج اللبان على الرغم من أنها هي نفسها تنتج الكاسيا والقرفة والطيب، وأغلب خمرهم تصنع من البلح.(32)

هنا إشارة إلى أقسام الجزيرة العربية وأن أغلب أقسامها تنتج جميعها الطيوب والبخور بمختلف أنواعها وأيضاً إنتاج الخمر من التمر الذي ينتج في الجزيرة العربية.

البخور العربي:

ويحصل العرب على اللبان والبخور بالطريقة السالفة الذكر، أما الكاسيا فبالطريقة الآتية: حين يذهبون للحصول عليها يضعون جلد الثور وجلوداً أخرى فوق أجسادهم ووجوههم ما عدا أعينهم. فالكاسيا تنمو في بحيرة عميقة، وحولها وفيها تعيش مخلوقات ذوات أجنحة شبيهة بالخفافيش، إذ يصدر منها الصوت نفسه الشبيه بالصرير، وتمارس المقاومة العنيفة نفسها، وينبغي إبقاؤها بعيداً من العيون حتى يمكن الحصول على الكاسيا.(33)

القرفة العربية:

أما القرفة فإنهم يجمعونها بطريقة أكثر غرابة. وهم لا يقولون من أين تأتي وأي أرض تنتجها، إنهم فقط يقولون إنها تنمو في الأماكن التي نشأ فيها ديونيسوس، وهناك طيور ضخمة يقال: إنها تأخذ هذه الأعواد الجافة التي نعرفها من الفينيقيين، ونطلق عليها اسم القرفة(Kinomomon)، ثم يحملونها إلى أعشاش مصنوعة من الطين في ارتفاعات شاهقة، ولا يستطيع الانسان الوصول إليها. والحل الذي توصل إليه العرب-أمام هذه الحالة – هو قطع ثيران ميتة وعظام وحيوانات أخرى من دواب الحمل إلى أكبر أجزاء ممكنة، ثم وضعها قرب الأوكار، ثم الانسحاب بعيداً. عند ذلك تطير هذه الطيور -كما يقال-إلى أسفل وتأخذ هذه القطع إلى أعشاشها. وفي أثناء ذلك ولفشلها في حمل هذه الأوزان فإن الأعشاش تتكسر، وتسقط أسفل الجبل. وعند ذلك تجمع القرفة، وتذهب من هنالك إلى البلدان الأخرى.(34)

اللبان العربي:

أما عن الليدانون (Ledanon)اللبان الذي يعرفه العرب باسم اللادانون (Ladanon)فيحصل عليه بطريقة أغرب من طريقة الحصول على القرفةفهو أقوى النباتات العطرية رائحة، ويوجد في وسط ذي رائحة كريهة للغاية. ويعثر عليه في لحى التيوس، ويتشكل فيها مثل الصمغ أو الغراء في الخشب، وهو يستعمل في تصنيع كثير من العطور. وليس ثمة شيء يحرقه العرب من البخور أكثر من هذا النوع.(35)

الزنجبيل في بلاد العرب:

ليست جذور شجرة الفلفل، كما يتخيل بعضهم، هي نفسها المادة التي يسمونها زنجبيرى /زنجبيل(Zingiberi)، ولا تلك التي يسميها أخرون زيمبيبيرى(Zimpiberi)، على الرغم أنها ذات مذاق متشابه. وينمو الزنجبيل في مزارع بلاد العرب، وفى منطقة التروجلوديتين.(36)

قال أبوحنيفة الزنجبيل: مما ينبت في بلاد العرب بأرض عمانوقال الزبيدي: وبأرض اليمن أيضاً وهو عروق تسري في الأرض حريفة تحذي اللسان ونباته كالقصب والبردي والراس، وليس منه شيء بريا وليس بشجر يؤكل رطباً كما يؤكل البقل.(37)

الأشجار وأنواعها وسبب ذكرها:

القرفة والقرفة البرية «الكاسيا»:

ويذكر القدماء وعلى رأسهم هيرودوتوس أن القرفة والقرفة البرية(38) وتوجدان في أعشاش الطيور، وبخاصة في عش طائر فوينيكيس/ العنقاء، وهناك أيضاً القرفة البرية التي تنمو قرب المستنقعات في حماية نوع مخيف من الخفافيش التي تحرسها بمخالبها، وأيضاً هناك الأفاعي المجنحة. وفي مقابل سلعهم يجلبون الزجاج والنحاس والأقمشة والحلي المعدنية والأساور والقلائد.(39)

القرفة وأسعارها:

ويبلغ أقصى ارتفاع لشجيرة القرفة ذراعين، وأقل ارتفاع شبراً؛ أما سمكها فهو أربعة أصابع، وهي ترتفع ستة أصابع عن الارض قبل أن تنبت أغصانها. ومظهرها الخارجي جاف، وعندما تصير خضراء لا تصدر روائح، أما ورقتها فهي مثل ورقة نبات السمسقالبري. وتناسبها التربة الجافة، وهي أقل خصوبة في الجو الرطب، وتبدو بالفطرة وكأنها مشذبة. وعلى الرغم من أنها تنمو على أرض منبسطة فإنها تزدهر بين الشجيرات الكثيفة الأغصان والشائكة.(40)

ويبدو أن أنحف الأجزاء في أغصان القرفة التي يصل طولها إلى نحو شبر هي أجود أنواعها. والنوع الذي يأتي في المرتبة الثانية هو الأقل طولاً، وهكذا. وأسوأ الأنواع هي الأجزاء القريبة من الساق الأصلي بسبب قلة حجم اللحاء بها، وهو الجزء الأكثر استحساناً. ولهذا فإن الجزء العلوي من النبات مفضل وبه معظم اللحاء أما الخشب فليست له أية أهمية؛ لأن مذاقه مر مثل مذاق السمسق البرى(marjoram).(41)

تجارة القرفة البرية:

والقرفة البرية هي أيضاً شجيرة تنمو بالقرب من سهول القرفة على الجبال. ولكن سيقانها أكثر سمكاً، وقشرتها أضعف إلى حد ما من اللحاء.

وهـذه الشـجيرة ارتفاعهـا ثلاثـة أذرع، ولهـا ثلاثـة ألوان.(42)ويكـون اللحـاء ذا قيمـة كبـيرة عندمـا يكـون طازجـاً، ورائحتـه ذكيـة جـداً. وهـو ذو لـون أرجوانـي. وعـلى الرغـم مـن حجمـه الضخـم فـإن وزنـه قليـل، وقصبـات اللحـاء الخارجـي قصـيرة وغـير قابلـة للكسر. وهـذ النـوع يسـمى باسـم أجنبـي، «لادا» (Lada)، والنـوع الآخـر يشـبه البلسـم(balsam)، وسـمي بهـذا الاسـم لأن رائحتـه تشـبه رائحـة البلسـم، ولكـن مذاقـه مـرّ؛ ولذلـك فإنـه أكثـر فائـدة للأغـراض الطبيـة مثـل القرفـة السـوداء التـي تسـتعمل مرهمـاً.(43)

أشجار الطيوب والعطور:

ويطهـو السـبئيّون طعامهـم بخشـب البخـور، أمـا القبائـل الأخـرى فإنهـا تطهـو الطعـام بشـجر المـرّ، وهكـذا فـإن دخـان مدنهـم وأقاليمهـم وأبخرتهـا هـي نفسـها التـي تنطلـق مـن المذابـح، ومـن أجـل التخلـص مـن هـذه الرائحـة يجلبـون الميعـة في جلـود الماعـز، ويبخـرون بهـا منازلهـم، ويحرقونهـا أيضـاً لإبعـاد الأفاعـي الكثـيرة للغايـة في غابـات الأشـجار المنتجـة للعطـور.(44)

أشجار بلاد العرب:

وتتطلـب بـلاد العـرب المجـاورة لهـذه الجـزر مزيـداً مـن التفصيـل عـن منتجاتهـا، لأن أجـزاء متنوعـة مـن أشـجارها تسـتعمل لأغراض مفيـدة، وهـي الجذور والجـذوع واللحـاء والعصـارة والصمـغ والخشـب والبراعـم والزهـرات والأوراق والثمـرة.

حب الهيل في بلاد العرب:

حـب الهـال (cardamomum) هـذه المـواد في الاسـم، وفي الشـجيرة التـي تنتجـه، فبذورهـا مسـتطيلة الشـكل، وتحصـد في بـلاد العـرب بالطريقـة نفسـها، ولـه أربـع أنـواع. (45)

بخور حضرموت:

والقرفـة قريبـة الشـبه مـن حـب الهـال، وإن كان مـن المناسـب في البـدء تصنيـف ثـروات بـلاد العـرب وأسـباب منحهـا ألقـاب السـعيدة والميمونـة. إن المنتجـات الرئيسـة لبـلاد العـرب هـي البخـور والمـرّ.(46)

وبامتـداد سـاحل البحـر الأحمـر كلـه، وفي الميـاه العميقـة تنمـو أشـجار تشـبه الغـار والزيتـون. وعندمـا يتراجـع المـدُّ فـإن كل الأشـجار تظهـر كاملـة فـوق الميـاه. وعندمـا يأتـي المـدُّ مـرة أخـرى فإنهـا تغطَّـى كلهـا بالميـاه. ومـع ذلـك فـإن الأراضي السـاحلية المجـاورة لهـا ليـس فيهـا أشـجار، وهـو يمثـل نوعـاً مـن التناقـض. (يعتقـد أن إسـترابون يشـير هنـا إلى الشـعب المرجانيـة)، هـذا هـو الوصـف للبحـر المجـاور للفـرس الـذى يشـكل كمـا ذكرنـا السـاحل الشرقـي لبـلاد

العرب السعيدة، أما في الجزر القريبة من الفرات فتنمو أشجار تخرج منها رائحة اللبان، ويخرج من سيقانها سائل عطري.([47])

وبفضل كثرة الثمار فإن الناس يتصفون بالكسل والتراخي في حيواتِهم، وينام أغلب الناس وعامتهم هنالك على الفروع يقطعون الأشجار، ويتسلم الناس الذين يعيشون متجاورين البضائع، ويسلمونها بالترتيب حتى سوريا وبلاد الرافدين؛ وعندما يشعر الحاملون لها بالنعاس بسبب رائحة العطور، فإنهم يطردونه برائحة القار ولحى التيوس، وتقع مدينة ماريابا/ مأرب عاصمة السبئيين على جبل كثيف الأشجار.([48])

وتكثر خلال فصل الربيع على سواحل الخليج العربي الأعشاب الخضراء أما في الصيف حيث يعم الجفاف.([49])

بعد ذلك سهل غني بالأشجار وبالمياه، ويعج بكل أنواع الأنعام وبخاصة البغال، وبه كذلك عدد كبير من الجمال البرية والغزلان، وكثير من الأسود والنمور والذئاب، وفي مواجهته جزيرة تسمى ديا(Dia). يلي ذلك ساحل يبلغ طوله نحو خمسمئة إستاديون، وهو محاط بالجبال وله مضيق يصعب دخوله، ويعيش حوله رجال يصطادون الحيوانات البرية. وبعد ذلك ثلاث جزر غير مسكونة ومملوءة بأشجار زيتون لا تشبه أشجار الزيتون الموجودة عندنا، بل من الأنواع المحلية التي نسميها «الإثيوبية». ودموع هذه الأشجار (صمغها) ذات قيمة طبية.([50])

ثروات بلاد العرب:

وإلى الجنوب تقع أقصى المناطق اتساعاً من بلاد العرب، وفي هذه المناطق وحدها ينتج اللبان والمر(Myrrh) والكاسيا(Casia) والقرفة (Cinammon)، وكل هذه المنتجات ما عدا الصمغ المستعمل في التحنيط، يواجه العرب صعوبة في أثناء جمعهم لها. وللحصول على البخور يحرقون الميعة(Storax).([51])

الموارد الاقتصادية للنباتات.

وبعد أن يبحر المرء بمحاذاة ساحل بلاد العرب ألفين وأربعمئة إستاديون يقابل في خليج عميق مدينة تسمى جرها (المقصود هنا بالخليج هو الخليج العربي والجرهاء مدينة عربية قديمة على الساحل الغربي للخليج العربي في المملكة العربية السعودية وقد أظهرت الكشوفات الأثرية موقعها في المكان المشار إليه تقريباً ولازالت الدراسات الأثرية قائمة للكشف عن المزيد مستقبلاً) وعادة ما يحمل أهل جرها بضائع بلاد العرب وعطورها من طريق البر، ولكن أريستوبولوس يقول على النقيض من ذلك إن أهل جرها يتنقلون فأغلب الأحيان من طريق القوارب إلى منطقة بابل، ومن هناك يبحرون

ببضائعهم في الفرات إلى ثاباسكوس، ثم يتنقلونها من هناك براً إلى كل الأرجاء كلها.([52]) ويقارن هنا أسترابون بين مصادره، وبين ما يحدث في وقته هو وماكان يحدث في القرن الرابع قبل الميلاد، طبقاً لما يذكره أريستوبولوس الذى كان أحد قادة الاسكندر الأكبر. وإلى جزيرة فوكاى(Phokai) تيران الحالية يأتي المعينيونوالجرهائيون، وجميع الجماعات المجاورة بأحمالهم من الطيوب،([53]) تمثل هذه الفقرة دليلًا على أهمية الطريق التجارية المارة بغرب الجزيرة، وكذلك على التجارة الداخلية بين مناطق الجزيرة المختلفة، ويعتقد المؤرخين أن جزاءً من تجارة الجرهائيين كان بحرياً والجزء الآخر برياً.([54]) وكان هناك رواية منذ مدة طويلة أنهم أغنياء، وأنهم يحصلون على الذهب والفضة مقابل النباتات العطرية والأحجار الكريمة، ولكنهم لايدفعون شيئاً مما يحصلون عليه للناس في الخارج، وكان يأمل (المقصود حملة جاللوس على بلاد العرب) إما أن يفيد من أصدقاء أغنياء،([55]) ويناقش استرابون هنا الهدف من الحملة، ولا شك في أن الثروة الاسطورية لبلاد العرب أدت أثرها إضافة إلى مايذكره هنا «الصداقة» المزعومة بين أغسطس وسكان المنطقة.([56])

السكّر في بلاد العرب:

تنتج بلاد العرب أيضاً السكّر، ولكن النوع الذي ينتج في الهند موضع تقدير أكبر، وهو نوع من العسل يتجمع في القصب، ولونه أبيض مثل الصمغ، وهش بين الأسنان، وأكبر عيناته في حجم البندق، ويستعمل فقط دواء.([57])

الصمغ النباتي]المقل[في بلاد العرب:

وشجرته لونها أسود، وفى حجم شجرة الزيتون، وتشبه أورقها أشجار البلوط، وتشبه ثمرتها ثمرة التين البري، ويشبه قوام الثمرة الصمغ، وأحد أسمائه بروخون(brochon) والأخر هو مالاخا(malacha). وعندما يستعمل في الطقوس الدينية ينقع في الخمر التي تجعل رائحة أشد قوة، وتنمو هذه الشجرة في بلاد العرب والهند.([58])

شجرة البخور:

وتنوع أوصاف اليونانيين لشجرة البخور، إذ قال بعضهم أن أوراقها مثل ورقة شجرة الكمثرى (pear) غير أنها أصغر في الحجم، ولونها أخضر عشبي. ويرى آخرون أنها تشبه المستكة (mastich) ولها أوراق حمراء، ويقول بعضهم إنها مثل شجرة البطم. وأن لهذه الشجرة ساقاً مجدولة (حلزونية)، وفروعاً تشبه تماماً نبات القيقب في مناطق البحر الأسود ، وأنها تفرز عصيراً مشابها لعصير شجرة اللوز.

ومن المعلوم تماماً أن لها لحاءً كلحاء شجرة الغار. وذكر بعضهم أنها مشابهة لشجرة الغار. وعند النظر لبعض أغصان البخور التي شقت طريقها إلينا، يمكننا أن نستنتج أن الشجرة الأمّ رقيقة ومستدقة الطرف، وأنها تخرج أغصانها من جذعها الخالي تماما من العقد.([59])

أشجار البخور:

ويطلق على البخور الذى يتدلى من الشجرة على شكل قطرات مستديرة اسم البخور]اللبان[الذكر. فإن أكثر البخور قيمة الذي يأخذ شكل العنقود، ويتكون عندما تبقى إحدى القطرات عالقة، فتتبعها القطرة التالية فتلتصق بها، ومما وجدته مدوناً أن من المعتاد أن تملأ كتلة البخور راحة اليد، وبخاصة في الأوقات التي يكون فيها حماس الرجال على جمعها أقل درجة، ويسمحون لها أن تنتج ببطء. ويطلق اليونانيون على كتل البخور المعدّة بهذه الطريقة « البخور المتقاطر» أو « البخور الصلب»، أما القطع الصغرى منه فيسمونها «بخور الحُمُّص». أما الأجزاء التي تقتلع بهز الشجرة فنسميها المَنّ.([60])

مواسم حصاد البخور:

عندما تكون درجة الحرارة في فصل الصيف على أشدّها. ويعملون حزاً في لحاء الشجرة في المنطقة التي تبدو مليئة بالعصارة، والرقيقة للغاية والمنتفخة إلى أقصد حد. ويُفصل اللحاء بالضرب، ولكن دون أن ينزع، فتخرج من الشقّ رغوة شحمية تتخثر، وتزداد سمكاً وتماسكاً. وتجمع العصارة على حصير من سعف النخيل حيث تقتضي طبيعة الأرض ذلك. والأرض الواقعة قرب الشجرة في أماكن أخرى صلبة، وذلك بدكّها لهذا الغرض. ويعد البخور الذي يجمع وفقاً للطريقة الأخيرة هو الأنقى، ولكن البخور الذي يجمع بالطريقة السابقة أثقل وزناً. وينزع البخور المتبقي والملتصق على لحاء الشجرة بألة حديدية، ولذا فإنه يحتوي على بقايا من لحاء الشجرة. وفي فصل الخريف يجمع البخور الذي ينتج في الصيف، وهو من أنقى الأنواع، ولونه ناصع البياض. أما المحصول الثاني يجمع في الربيع، وتعمل حزوز في لحائه في أثناء فصل الشتاء لهذا الغرض، ولونه أحمر.([61])

شجرة المرّ:

وتنمو شجرة المرّ إلى ارتفاع يصل إلى خمسة أذرع، ولا تخلو من الشوك، وساقها صلبة وملتوية، وأكثر سمكاً من ساق شجرة البخور، وجذورها أكثر سمكاً من باقي أجزائها. ويذكر بعضهم أن لحاء الشجرة أملس مثل لحاء شجرة الفراولة. ويرى أخرون أن لحاء المر غير أملس وشائك. ويقال إن

أوراقه تشبه أوراق شجرة الزيتون غير أنها أشد تجعداً وشائكة. ومع ذلك يذكر يوبا أن ورقتها مثل نيات الكرنب.([62])

ويلاحظ هنا أن بلينيوس ذكر أغلب الموارد التي كانت لدى العرب سواء أشجار أو نباتات، وأماكن زراعتها وطرق زراعتها وأعطى وصف دقيق لشكلها وطريقة جمعها وأوقات الجمع في كل فصول العام وأشهر الأماكن التي كانت تم بها الزراعة، والأسعار، والطرق التي كانت تنتقل بها من شبه الجزيرة العربية إلى أماكن البيع أو إلى بلادهم، وهذا يدل على الاهتمام الكبير لأهمية المنتجات العربية لديهم، بل وتمت الدراسة بشكل علمي إلى حداً ما حيث أخذ عن السابقين في هذا المجال سواء من المؤرخين أو الرحالة الذين مروا ببلاد العرب. ومن خلال ما سبق يتجلى لنا أهمية الموارد التجارية والمنتوجات النباتية التي يملكها العرب.

المستكة العربية:

بعد ذلك ننتقل إلى المستكة التي تنمو فوق شجيرة شائكة في بلاد العرب، وتسمى لاينا(Laina).([63])

الكتان في الهند وبلاد العرب:

وعموماً لم يكن لدى إثيوبيا المتاخمة مصر أشجار جديرة بالذكر سوى تلك المنتجة للكتان الذي تكلمنا عنه من بين أشجار الهند وبلاد العرب. وبجانب شجر الكتان يوجد نخيل من النوع الذي وصفناه. وفي معرض وصفنا للجزر الموجودة قرب ساحل إثيوبيا سبقت الإشارة إلى الأشجار وغاباتها العطرية.([64])

فراولة بلاد العرب:

ذكر بلينيوس ثمرة الفراولة ليس لها قيمة بسبب اسمها؛ ولذلك يأكل المرء منها واحده أو أكثر. وقد أطلق عليه الإغريق اسمين: الأول كومارون (comaron) والآخر ميمايكيلون (memaecylon)اللذان يتضح منهما وجود نوعين للنبات. وللنبات عندنا اسم ثالث هو أربوتوس/ القطب(arbutus)وقد كتب يوبا أن طول شجرة الفراولة في بلاد العرب يبلغ خمسين ذراعاً، أو نحو خمس وسبعين قدماً كما ورد في النص الإنجليزي.([65])

صناعة الخيط عند العرب:

ويسمى النوع الرابع]من أنواع الكتان[أوثونيوم (othoninum)، ويصنع من أحد أنواع القصب الذي يزرع في المستنقعات، ولكن من خيوطه فقط. وتصنع آسيا الخيط من نبات الرتم(broom) الذي تصنع منه تخصيصاً شباك الصيد المتينة. وينقع النبات في الماء لمدة عشرة أيام. ويصنع الأثيوبيون

والهنود الخيط من زهرة تشبه التفاح عندنا، ويصنعه العرب من اليقطين الذي ينمو، كما قلنا، على الأشجار.([66])

الساحل الجنوبي لخليج عدن:

الذين يعبرون في قوارب إلى أوكيليس (ocelis)، وموزا(muza) على الجانب المقابل الأعشاب العطرية، والقليل جداً من المر،]8[ويصدر من هذه الأماكن المر والقليل من لبان «الجانب البعيد»، والكاسيا الصلبة، والدواكا(duaca) الصلبة، والكانكامون(kankamon)، والصمغ الهندي(macir).([67])

وبعدها مباشرة في الجوار الأراضي العربية، والمركز التجاري موزا/ موزع مدينة من دون ميناء، ولكن لديها مرسى طبيعي جيد، ومكان جيد لرسو السفن بفضل الأماكن الرملية المحيطة بها، ومن المكان نفسة تصدر المنتجات المحلية المر الفاخر وزيت المرّ المقدس.([68])

الساحل الجنوبي لشبة الجزيرة العربية:

وبعد أوكيليس ينفتح البحر مرة أخرى باتجاه الشرق، وبعد وقت قصير ينفتح في المحيط، وبعد نحو ألف ومئتي إستاديون توجد بلاد العرب السعيدة(Eudiamon / Eudaemon Arabia).([69]) وبعد الرأس البارز لهذا الخليج يوجد مركز تجارى آخر مجاور على الساحل هو قانا(Kana) وهو تابع لمملكة إليازوس(Eleazus)المنطقة المنتجة للبخور. وكل اللبان المنتج في المنطقة يأتي إليها بالجمال حيث يخزن فيها، ويأتي إلى قانا بالطوافات الجلدية المحلية المعدة من الجلود وفى القوارب.([70]) ومن هذه المنطقة تصدر البضائع المحلية، واللبان والصبار.([71])

وبعد قانا يتراجع الساحل بدرجة كبيرة ويستقبل خليجاً أخر شديد العمق، ويمتد إلى مسافة كبيرة، ويعرف باسم خليج ساخاليتيس(sachalites) والأرض المنتجة للبان جبلية ويصعب السير فيها. وبها ضباب وسحاب داكن، واللبان يجنى من الأشجار. والأشجار التي تنتج اللبان لاهي بالكبيرة جداً ولا بالمرتفعة. وهي تنتج اللبان ملتصقاً على اللحاء مثلما تخرج بعض الأشجار، كما هو الحال عندنا في مصر. الصمغ في شكل دموع (حبات)، ويجمع اللبان من العبيد الملكيين وأولئك الذين يقضون مدة عقوبة.([72])

وبمواصلة الإبحار بعد مدخل الخليج، كذلك يجلب البخور إلى عمانا من قانا، ومن عمانا إلى بلاد العرب تستعمل القوارب المحلية المخيطة المعروفة باسم «مادارا» (Madara)، وتنتج هذه البلاد كميات كبيرة من القمح والخمور والأرز والتمور، ولكن لا يوجد على الساحل شيء آخر سوى المقل (bdellium).([73])

بلاد العرب والعرب:

ويعرف باسم بلاد العرب السعيدة. لأنه، من جهة، ينتج بوفرة كبيرة قصب الطيب، والغاب والمزروعات الأخرى ذات الرائحة العطرة التي تنتج بوفرة كبيرة، وتوجد أيضاً مختلف أنواع الموارد العطرية المستخرجة من أوراق الشجر؛ وتتسم الارض في مختلف أجزائها بتوافر عدد من روائح الصمغ بيناللبان الذي يقطر منها، لأن المرّ والبخور الذي هو أكثر الأشياء قبولاً لدى المعبودات الذي يصدر إلى جميع أرجاء العالم المأهول بالسكان، يكون إنتاجه في أكثر المناطق بعداً من تلك الأراضي، فالكوستوس(Kostos)، والكاسيا(cassia)، والقرفة (cinnamon)، والنباتات العطرية. وكل النباتات ذات الطبيعة العطرية تنمو هنالك في حقول وأدغال كثيفة جداً حتى أن ما تنثره الشعوب الأخرى بحرص وتقدير على مذابح المعبودات يستعملونه في واقع الأمر وقوداً أسفل مواقدهم، وما يوجد لدى بقية الشعوب بكميات صغيرة، يوجد هنالك بوفرة تتيح استعماله مراتب للخدم في بيوتهم.([74])

سكان بلاد العرب السعيدة:

وفيما وراء هذا الشعب يسكن قوم يعرفون باسم الكاربيين(Carbae)، ومن بعدهم يوجد السبئيون (Sabaeans) الذين هم الأكثر عدداً من بين جميع قبائل العرب. وهم يقطنون ذلك الجزء من الأرض المعروف باسم بلاد العرب السعيدة الذي ينتج أغلب المنتجات التي تحتل مكانة غالية بيننا. كذلك تفوح الرائحة الطبيعية العطرة في جميع أرجاء تلك الأرض؛ ذلك أن كل الأشياء التي تمتاز برائحتها النفاذة تنمو هناك دائماً.وعلى سبيل المثال تنمو على طول الساحل أشجار البلسم، كما يطلقون عليه، وشجر الكاسيا(cassia)، وأشجار عشبية معنية لها خاصية طبيعية مقصور عليها؛ إذ إنها تكون في موسم الأزهار أكثر ما تكون إسعاداً وبهجة للعين، ولكنها تذبل عند الاحتفاظ بها مدة من الوقت.وفي كل مكان في المناطق الداخلية من الأرض غابات كثيفة، فيها أشجار ضخمة تنتج البخور والمرَّ وكذلك أشجار منتجة للتمور والغاب (البوص)، وأشجار للقرفة، وجميع أنواع الأشجار الأخرى ذات الروائح الطبية المشابهة لتلك التي سبقت الإشارة إليها. ومن المستحيل أن نعدد جميع السمات الخاصة وخصائص كل نبات من هذه النباتات كل على حدة، وذلك بسبب حجمها الكبير وغناها الاستثنائي خصوصاً فيما تنتجه من روائح تجمع منها جميعاً.إن الامر يتطلب معونة إلهية إذ تعجز الكلمات عن وصف الرائحة التي ترحب بالأنوف. والسبب في ذلك هو أن عطور الأعشاب ذات الروائح العطرة لا تظل، كما الحال معنا، محتفظة برائحتها حتى تصل إلى مرحلة متقدمة

وتفقد نضارتها، ولكن قدرتها وفاعليتها تظهر في فصل الإزهار الكامل، ولا تحفظ في أوعية مصنوعة من مواد متنوعة.([75])

المحيط المواجه لبلاد العرب:

أما الطبيعة البخور(frankcense) وطريقة تجهيزه فهي على النحو الآتي: فهي شجرة صغيرة في حجمها، تشبه في شكلها شكل شجرة الأكاسيا (acacia) المصرية، وتشبه أوراقها أوراق شجرة الصفصاف (willow)، كما يطلقون عليها، والبرعم الذي تحمله مشابه في لونه للون الذهب، وعطر البخور الذي يخرج منها يتساقط على شكل الدموع. ولكن شجرة المر /الصبر (aloe)تشبه شجرة المستكة(mastic-tree) على الرغم من أن أوراقها أكثر رشاقة وتنمو بكثافة أكبر. ويفوح نضح رائحة المر عند نزع الجذور من باطن الأرض، وعندما تكون الشجرة مزرعة في تربة خصبة، يحدث ذلك مرتين في العام في فصل الربيع وفصل الصيف. ويكون مُرُّ الربيع أحمر اللون بسبب الندى، ولكن مُرُّ الصيف أبيض اللون. ويجمعون أيضاً نبات شوكة المسيح (christs thorn)، التي يستعملونها في طهي اللحم وشرابا وعلاجاً لشفاء أمراض الأمعاء.([76])

- ل ب ن، ل ب ن ي (اسم)، «بخور» اللبنى -الميعة، وجاء في اللسان:»أناللبنى: الميعة. واللبنى واللبن: شجر واللبان: ضرب من الصمغ. وشجرة اللبان شجرة، ليس لها جذع ولها أعداد كبيرة من الاغصان، وهي شجرة شوكية لا يتجاوز طولها من 6 إلى 7 أقدام ويمكن أن يصل نمو إلى 15 قدماً إلا إذا ما وجدت مناخاً مناسباً. وهذه الأشجار تنتج مادة صمغية لونها أصفر باهت شفافاً عند بداية جمعة، ويتغير لونه ويصبح مغبراً نتيجة احتكاكه في بعضه البعض، وأثناء حرقة تفوح منه رائحة طيبة وله دخان أبيض. وتصل أنواعه إلى 25 نوعاً، يوجد عدد قليل منه في جنوب الجزيرة العربية وهي أفضلها، ويتم جمع اللبان بإحداث شقوق طولية في لحاء الأشجار وفي اتجاهات مختلفة من جذوعها وأغصانها فيخرج سائلا منها، يتجمد عند ملامسته للهواء، متحولاً إلى قطع متباينة الحجم تشبه الدمعة، وتوضع في أحواض هذه الأشجار حصر من سعف النخيل، تحسباً لسقوط تلك القطع، أما القطع المتبقية أو اللاصقة بالأشجار فإنها تقشط بألة حادة.([77])

واللبان:

ضرب من الصمغ. قال أبو حنيفة: اللبان شجيرة شوكة لا تسمو أكثر من ذراعين، ولها ورقة مثل ورقة الآس وثمرة مثل ثمرته، وله حرارة في الفم. قال ابن سيده: ولا يتجه على غيره لأن شجر اللبان من الصمغ أنما هي

قدر قعدة إنسان وعنق الفرس أطول من ذلك، ابن الأعرابي: اللبان شجر الصنوبر في قوله: وسالفة كسحوق اللبان التهذيب: اللبنى شجرة لها لبن كالعسل، يقال له عسل لبنى، قال الجوهري: وربما يتبخر به.

قال امرؤ القيس: وبانا وألويا من الهند ذاكيا ورندا ولبنى والكباء المقترا.

واللبان:

الكندر، واللبانه: الحاجة من غير فاقة ولكن من همة. يقال: قضى فلان لبانته، والجمع لبان كحاجة وحاج.

قال ذو الرمة: غداة امترت ماء العيون ونغصت لبانا من الحاج الخدور الروافع، ومجلس لبن: تقضى فيه اللبانة، وهو على النسب.([78])

والمرة:

شجرة أو بقلة، وجمعها مر وأمرار، قال أبو حنيفة: المرة بقلة تتفرش على الأرض، لها ورق مثل ورق الهندبا أو أعرض، ولها نورة صفيراء وأرومة بيضاء، والمُرارُ: شجرة مُرٌّ، وقيل: المر حمض. والمر: دواء.([79]) وأجود أنواعه ما تنتجه الأغصان، وهو عبارة صمغ أحمر يميل إلى البنى، أثناء حرقة يخرج من دخان أبيض قليل، وله رائحة عطرة أخف من رائحة اللبان، ويوجد للمر أنواع ليس لها رائحة وتستخدم في الأدوية و العطور.([80])

مُرٌّ: بالضم دواء معروف كالصبر سمي به لمرارته.([81])

وقيل:»المر، كالصبر، دواء سمي به لمرارته، وقد عالجوا به عدة أمراض».([82])

القُسطُ:

بالضم: عود يتبخر به لغة في الكسط عقار من عقاقير البحر، وقال الليث: القسط عود يجاء به من الهند يجعل من البخور والدواء، قال أبو عمرو: يقال لهذا البخور قسط وكسط وكشط، وفى حديث أم عطية: لاتمس طيباً إلا نبذة من قسط وأظفار، وفى رواية: قسط أظفار، القسط: ضرب من الطيب، وقيل هو العود؛ غيره: والقسط عقار معروف طيب الريح تتبخر به النفساء والأطفال.([83])

رند:

الرّنْد: الآس؛ وقيل: هو العود الذى يتبخر به، وقيل: هو شجر من أشجار البادية، وهو طيب الرائحة يستاك به، وليس بالكبير، وله حب يسمى الغارَ، واحدته رانده.([84])

لدن:

اللدن: اللين من كل شيء، من عود أو حبل أو خلق، والجمع لدان ولدن، وكل رطب ماد لدن، وهو عبارة عن ورد يحصل عليه من نبات يسمى قلسوس ولايزال يستعمل في صناعة العطور حتى اليوم.([85])

الضَّرْوُ:

ض ر و اسم، ضرو نوع من الطيوب، وهو شجر طيّب الريح يستاك به، ويجعل ورقة في العطر، وقيل هو البُطْمُ نفسه، والبُطْمُ الحبة الخضراء، وقيل هو: شجر الجبال، وهي: مثل شجر البلوط العظيم، وله عناقيد كعناقيد البطم غير أنه أكبر حباً، ويطبخ ورقه حتى ينضج، فإذا نضج صفي من ورقه ورد الماء إلى النار فيعقد ويصير كالقُبيَّطي، يتداوى به من خشونة الصدر ووجع الحلق وقيل أن الضرو بالكسر صمغ شجرة تدعى الكمكام تجلب من اليمن، وقيل أن أكثر منابت الضر باليمن.([86])

ق ل ي م ت ن (اسم جمع) نوع من الطيب، وقيل أن هذه اللفظة تعني: قصب الذريرة، والذريرة: فتات من قصب الطيب الذى يجاء به من الهند يشبه قصب النشاب، وفى حديث عائشة رضي الله عنها: «طيب رسول الله صلى الله عليه وسلم لإحرامه بذريرة»،([87]) وقيل هو نوع من الطيب مجموع من أخلاط ، وهى خليط من جملة مواد جافة الحليب الأبيض ويسباس الطيب وجوز الهند وزهرة والكافور، وتطحن هذه المواد، ويشتهر وادي تبن في لحج بكثرة إنتاجه منها.([88])

س ل خ، س ل خ ت (اسم)، «سليخة»، «قرفة حطيبة» (نوع من الطيب) والسليخة: نوع من الـ(cassia) أي: الأكاسيا وهي: قشرة تؤخذ من شجرة القرفة أو من أشجارها، وقيل هي: شيء من العطر تراه كأنه قشر منسلخ ذو شعب، والقرفة دواء معروف، والقرف: قشر شجرة طيبة الريح يوضع في الدواء والطعام، وقد غلبت هذه الصفة عليها، غلبة الأسماء لشرفها، ويستعمل دهنها الناتج من ثمرها أحياناً. وقيل أن القرفة: ضرب من الدار صيني وهى على أنواع منه: الدار صيني الحقيقي، ومن أيضاً المعروف بـ قرفة القرنفل.([89])

النخيل: والنخل هو شجر التمر، وهو (ن خ ل) (نخل) في المسند كذلك. وتعني لفظة (انخل) (وأنخل)، (النخيل) وبساتين النخيل ومزارعها ومن (نخل) أخذ لفظ (منخل) بمعنى مزرع النخيل، أي الموضع المزروع نخلاً، وقد عني العرب الجنوبيون بزراعة النخيل، وكونوا بساتين واسعة منها. وكانت نجران من أهم المناطق المشهورة بزراعة النخيل وقد أعتبر العرب النخل من الشجر المبارك الذي بورك فيه لما به من فوائد.([90]) والنخيل في كل مواضع الجزيرة

العربية فيه ماء، وهو أنواع وفصائل كثيرة، وقد اشتهرت (هجر) بكثرة ثمرة تمرها، وبزيادته عن حاجة أهلها، فكان الأعراب يأتونها للامتيار، ولشراء التمر منها. وفيها ضرب المثل: كمبضع تمر إلى هجر.([91]) ومن أشجار الجبال: الرنف، الحثيل، اللبان، الظيان، والرنف: شجر ينضم ورقه إلى قضبانه إذا جاء الليل وينتشر بالنهار، والحثيل: شجر جبلي يشبه الشوحط، ينبت مع النبع وأشباهه، واللبان: شجر ولحب ثمرة دهن طيب، وتعالج بحبة جملة أمراض جلدية وداخلية، وهو يطول باستواء مثل نبات الأثل، وورقه له كهدب الأثل، وليس لخشبة صلابة، وعده بعض العلماء من العضاة، وله ثمرة تشبه قرون اللوبياء، إلا أن خضرتها شديدة، فهو من النبات الذى تطبب به. والظيان: ياسمين البر، وهو نبت يشبه النسرين، وضرب من اللبلاب، وقد دبغ بورقه، ويلتف بعضه علة بعض.([92])

العلب: هي شجرة شوكية معمرة دائمة الخضرة ذات جذع كبيرة ولها فروع كثيرة وطويلة ومثمرة، وتنبت في بطون وسفوح الأودية، حيث تكثر في أودية المناطق الجبلية، والعلب أحد أنواع الأشجار التي جاء ذكرها في النقوش المسندية،([93]) وقد تعددت استخداماتها في مجال الطب والبناء وإيقاد النار للتدفئة والطهي. وقال ابن الأعرابي: العلب جمع علبه والعلبة بالكسر وهي أُبنة بالضم، هي العقدة تكون غليظة من الشجر تتخذ منها وفي قول آخر: غصن عظيم تتخذ منه المقطرة، كمكنسة، وهي خشبة فيها خروق على قدر سعة رجل المحبوسين. قال:

في رجله علبة خشناء من قرظ قد تيمته فبال المرء متبول([94])

وجمعها علب: ابنة غليظة من الشجر يتخذ منه المقطرة (المبخرة) وقال أبو زيد: العلوب منابت السدر، وواحدته علب.([95])

الأراك:

واحدته أراكة، هي شجرة معمرة دائمة الخضرة وتنتمي إلى فصيلة الأراكية، طيبة الرائحة، هو شجر السواك حيث يقتطع السواك من جذوره، وأيضاً ويستاك بفروعه، وقيل: هو شجر معروف له حمل كحمل عناقيد العنب واسمه الكباث، بفتح الكاف، وإذا نضج سمي المرد. وهي شجرة طويلة خضراء ناعمة ذات أوراق كثيرة.([96]) ونجد بعض أسماء أودية تحمل اسم «أراك»، مثل: وادي أراك من بلد بني نهد، ووادي أراكة في أسفل بلد زبيد، وأراكة ناحية المصامة من ديار خثعم بن عامر بن ربيعة.([97])

الأثل:

أَثْل: جمع الجمع أُثول، ومفرده: أَثْلة: وهو (النبات) شجر طويل مستقيم الخشب جيِّده يكثر قرب المياه في الأراضي الرمليّة، وتصنع من خشبه

القصاع والجفان، وثمره حبّ أحمر لا يؤكل. والأَثْلُ: بالفتح شجر وهو نوع من الطرفاء واحدته أثلة وقيل: شجر يشبه الطرفاء إلا أنه أعظم منها، وقيل: أنها السّمُر أو السمرة أو عضاهة طويلة قويمة([98])، ومنه اتخذ منبر الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، ويصنع منها الأبواب. قال أبو زياد: الأثل من العضاة وهو طوال في السماء مستطيل الخشب، وورقه هدب طوال دقاق وليس له شوك، وله ثمرة حمراء، واحدته أثلة وجمعه أثول.([99]) ورد ذكره في القرآن الكريم (فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ) (16) سورة سبأ.

اللبان:

واللبني: الميعة. واللبني واللبن: شجر. واللُّبانُ: ضرب من الصّمغ. قال أبو حنيفة: اللبان شجيرة شوكة لا تسمو أكثر من ذراعين، ولها ورقة مثل ورقة الآس وثمرة مثل ثمرته، وله حرارة في الفم. واللبان: الصنوبر، حكاه السكري وابن الأعرابي، قال ابن سيده: ولا يتجه على غيره لأن شجرة اللبان من الصمغ إنما هي قدر قعدة إنسان وعنق الفرس أطول من ذلك، ابن الأعرابي: اللبان شجر الصنوبر في قوله: وسالفة كسحوق اللبان التهذيب: اللبني شجرة لها لبن كالعسل، يقال له عسل لبني([100]) واللبان لاينبت إلا في اليمن ويصير في جميع الأرض.([101])

المُرّ Myrrh:

شجرة المُرّ تشبه شجرة اللبان ولكنها تتميز عنها على صعيد الشكل والمحصول، والاسم العلمي للشجرة هو: MyrrhaCommiphoوتنتمي للعائلة النباتية» Burseraceae « وتسمى في اللغة الإنجليزية TreeMyrrh، وهي عبارة عن شجرة شوكية صغيرة يصل ارتفاعها إلى ثلاثة أمتار، وتتميز بأنها كثيرة التفرع وساقها ذي قشور ورقية، وأوراقها ثلاثية، ولها أزهارها صغيرة الحجم تحوي بذرة واحدة ذات لون برتقالي ، تتميز هذه الشجرة بأنها ذات رائحة بلسمية قوية، مائل إلى الاصفرار أو رمادي تفوح عند دعك قلفها أو أغصانها، ومحصولها عبارة عن سائل صمغي، يفرزه الساق طبيعياً أو عند جرحه، ويتراوح لونه بين البني والأسود يتجمد عن تعرضه للهواء، ويكثر استخدام المُر طبياً فعلى سبيل المثال: هو مطهر وغسول للفم ، ولقرحة المعدة، وطارد للغازات، ويدخل في صناعة المراهم وغيرها من المجالات الطبية.([102])

وكان العلماء في الأمصار لا يكتفون في تدوين اللغة بما يسمعونه من الأعراب الذين يفدون عليهم عند تحقيق أمر من أمور اللغة، بل كانوا هم أنفسهم ينزلون البادية للتحقيق والتمحيص، ويسمعون بآذانهم منطق العرب

الفصحاء فيما أشكل عليهم لفظه، أو ارتابوا في حقيقته. ونستدل على ذلك بما جاء في لسان العرب عن هؤلاء العلماء وعن كيفية تحقيقهم في اللغة؛ لا سيما فيما يختصها بأسماء النبات، وأيضا لذكر بعض الأدوية والتداوي عند بعض البلدانييفيأتي ذكر الداء والأعشاب التي يتم العلاج بها، ولكن في بعض الأحيان ذكره بأسماء مختلفة أو لم يأتي ذكرها عند المؤرخين الكلاسيكيون.

أما كما سبق الاشارة إلى الكتابات اليونانية والرمانيةفي المقام الاول كان لأغراض تجارية، أو لمعرفة أصل تلك المنتجات، أو عن طريق أرسال بعثات استكشافية، للحصول على منتجاتهم من المحاصيل الطبية والعطرية، بالإضافة إلى الثروات التي سمع عنها، أو القيام بحملات عسكرية للسيطرة على بلاد اليمن إما بكسبهم أو بإخضاعهم بالقوة، بعد ما سمعوه عن مدى ثرائهم وبيعهم السلع المرغوبة من الطيوب والأحجار، ولكن ليس كل الدراسات ولكن بأشرات قليلة إلى تلك المنطقة وذكر نباتات وأشجارها على سبيل السرد أو الدراسة.

النتائج:

من خلال ماسبق عرضه، أمكن التوصل إلى النتائج الآتية:

أن الإنسان بقدراته التي وهبه الله إياها يستطيع استغلال ماحوله من خيرات نباتية سواءً طبيعية أو زراعية للاستفادة منها وتطويعها ذلك لخدمته ورفاهيته وسيطرته والإثراء منها.

أهمية البيئة المناخية والجغرافيةوالبيئة النباتية على حياة البشر وتأثيرها على الإنسان ايجاباً إذا ما أحسن توظيفهاواستغلالها واستثمارها والتكيّف معها.

أهمية موقع شبه الجزيرة العربية وتنوع مناخها له أثر كبير في تنوع البيئة النباتية والغطاء النباتي فيها مما نتج عنه تنوع الإنتاج والمحصول النباتي والزراعي.

استفادة شعب الجزيرة العربية من موقعها الجغرافي في التحكم بالإنتاج النباتي والزراعي وأيضاً الطرق التجارية والبضائع سواءً التي تصدر منها مباشرة أو يتم استيرادها من الشرق وإيصالها للغرب.

ماحظيت به شبه الجزيرة العربية من موقع مهم في قلب العالم القديم وخيرات تنتجها أرضها جعلها مطمع القوى والإمبراطوريات المجاورة كاليونان والرومان والأحباش والفرس وسبقهم الفراعنة والأشوريين والسومريين والبابليين.

برغم تلك الأطماع الخارجية تمنّعت واستعصت شبه الجزيرة العربية

في كثير من فترات التاريخ على القوى العالمية المجاورة واستطاع أهلها حمايتها والدفاع عنها كفشل الحملة الرومانية بقيادة القائد إيليوسجاللوس عام 24ق.م.

معرفة الكثير من النباتات التي وردت في كتب الكتّاب الكلاسيكيين وتطابقها مع كثير مما أورده البلدانيين والمؤرخين العرب بعد ذلك، ومعرفة استخداماتها الطبية والغذائية وأماكنها وأوصافها.

المصادر والمراجع:

(1) عبدالله بن عبدالرحمن العبد الجبار،بلينيوس والجزيرة العربية، الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية (7)،دارة الملك عبد العزيز، الرياض،1439هـ/2017م، ص 171.
(2) العبد الجبار، بلينيوس والجزيرة العربية، الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية (7)، ص 174.
(3) المرجع نفسه، ص 175.
(4) المرجع نفسه، ص 175.
(5) المرجع نفسه، ص 176.
(6) عادل محمد على الشيخ حسين، نخلة التمر في المصادر العربية، مجلة عالم الكتب ج 24، ع 1-2، 2007م، 1428هـ، ص1.
(7) العبد الجبار،بلينيوس والجزيرة العربية، الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية (7)، ص 180.
(8) المرجع نفسه، ص182.
(9) الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، صفة جزيرة العرب، الإكليل، ج1، تحقيق محمد بن علي الأكوع، القاهرة ،1963، ص 162.
(10) المرجع نفسه، ص204.
(11) محمود مصطفى الدمياطي، معجم اسماء النباتات الواردة في تاج العروس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1965، ص 150.
(12) أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 3، عام 1419هـ/ 1999م، ج14، ص85.
(13) مادة صمغية كانت تستخرج من لحاء الشجر، وأشار بعض المؤرخين الكلاسيكيين مثل هيردوتس إلى أنها كانت تنتج في بلاد العرب، وكان يحصل عليها من ذقون الماعز، وأنها تدخل في صناعة العطور، العبد الجبار،بلينيوس والجزيرة العربية، الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية (7)، ص161.
(14) العبد الجبار،بلينيوس والجزيرة العربية، الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية (7)، ص 161.
(15) باتريشا كرون، تجارة مكة وظهور الإسلام، ترجمة آمال الروبي، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة،2005، ص 51-52.
(16) العبد الجبار،بلينيوس والجزيرة العربية، الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية (7)، ص 193/194.
(17) المرجع نفسه، ص 195.
(18) المرجع نفسه، ص 196.
(19) المرجع نفسه، ص 196/197.
(20) المرجع نفسه، ص 118.
(21) المرجع نفسه، ص 118.
(22) المرجع نفسه، ص119.

(23) المرجع نفسه، ص128-129.
(24) عبدالله بن عبدالرحمن العبدالجبار،استرابون والجزيرة العربية، الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية (6)، دارة الملك عبد العزيز، الرياض،1439ه/2017م، ص34-35
(25) سامي سعيد الأحمد، تاريخ الخليج العربي من أقدم الازمنة حتى التحرير العربي، مركز دراسات الخليج العربي، البصرة، ط1، عام 1985م، ص 39.
(26) الدمياطي، معجم أسماء النباتات، ص 136.
(27) العبدالجبار،استرابون والجزيرة العربية، الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية (6)، ص59.
(28) المرجع نفسه، ص112-113.
(29) المرجع نفسه، ص113.
(30) المرجع نفسه، ص 120.
(31) المرجع نفسه، ص120-121.
(32) المرجع نفسه، ص 132.
(33) عبدالله بن عبدالرحمن العبد الجبار،هيرودوتوس والجزيرة العربية، الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية (1)، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، 1349هـ/ 2017م، ص 77-78.
(34) المرجع نفسه، ص 78-79.
(35) المرجع نفسه، ص79.
(36) العبد الجبار،بلينيوس والجزيرة العربية، الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية (7)، ص145.
(37) الدمياطي، معجم أسماء النباتات، ص 68.
(38) 38) القرفة على نوعين: نوع يعرف باسم سيناموموم (Cinnamomum) ونوع أخر يعرف باسم كاسيا، وأجمعت المصادر الكلاسيكية على أن القرفة والكاسيا تنموان في بلاد العرب، العبد الجبار، بلينيوس والجزيرة العربية، الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية (7) ص 166.
(39) العبد الجبار،بلينيوس والجزيرة العربية، الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية (7)، ص 167-168.
(40) المرجع نفسه، ص 168.
(41) المرجع نفسه، ص 168.
(42) المرجع نفسه، ص 169.
(43) المرجع نفسه، ص 170.
(44) المرجع نفسه، ص 165.
(45) المرجع نفسه، ص147-148.
(46) المرجع نفسه، ص149.
(47) العبدالجبار، استرابون والجزيرة العربية، الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية (6)، ص 110-111.

(48) المرجع نفسه، ص120.
(49) سامي الأحمد: تاريخ الخليج العربي...، ص38-39.
(50) العبدالجبار،استرابون والجزيرة العربية، الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية (6)، ص 118.
(51) العبد الجبار،هيرودوتوس والجزيرة العربية، الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية (1)، ص 73-75.
(52) العبدالجبار،استرابون والجزيرة العربية، الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية (6)، ص 109.
(53) المرجع نفسه، ص 116-117.
(54) المرجع نفسه، ص 117.
(55) المرجع نفسه، ص 124-125.
(56) المرجع نفسه، ص 125.
(57) العبد الجبار، بلينيوس والجزيرة العربية، الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية (7)، ص 146
(58) المرجع نفسه، ص 146-147.
(59) المرجع نفسه، ص151-152.
(60) المرجع نفسه، ص154.
(61) المرجع نفسه، ص 152-153.
(62) المرجع نفسه، ص157-158.
(63) المرجع نفسه، ص 160.
(64) المرجع نفسه، ص185.
(65) المرجع نفسه، ص 189-190
(66) المرجع نفسه، ص192-193.
(67) عبدالله بن عبدالرحمن العبد الجبار، الطواف حول البحر الإريثري والجزيرة العربية، الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية (9)، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، 1439هـ/ 2017م، ص43-45.
(68) المرجع نفسه، ص 56-60.
(69) (المرجع نفسه، ص 61.
(70) المرجع نفسه، ص63-64.
(71) المرجع نفسه، ص 65.
(72) المرجع نفسه، ص 65.
(73) المرجع نفسه، ص74-77.
(74) عبدالله بن عبدالرحمن العبد الجبار،ديودورس الصقليوالجزيرة العربية، الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية (5)، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، 1439هـ/ 2017م،ص61-63.
(75) المرجع نفسه، ص98-100.

(76) المرجع نفسه، ص112-113.
(77) إبراهيم بن ناصر بن إبراهيم البريهي، الحرف والصناعات في ضوء نقوش المسند الجنوبي، وزارة المعارف، وكالة الآثار والمتاحف، الرياض، 2000، ص 233.
(78) ابن منظور، لسان العرب، ج 12، ص 230-231.
(79) المرجع نفسه، ج 13، ص 73.
(80) البريهي، الحرف والصناعات...، ص 234.
(81) الدمياطي، معجم اسماء النباتات الواردة في تاج العروس، ص143.
(82) البريهي، الحرف والصناعات في ضوء نقوش المسند، ص 234.
(83) ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص 161.
(84) المرجع نفسه، ج 5، ص332.
(85) المرجع نفسه، ج5، ص 333.
(86) المرجع نفسه، ج4، ص303، 304.
(87) المرجع نفسه، ج 3، ص267.
(88) البريهي، الحرف والصناعات...، ص236.
(89) المرجع نفسه، ص236.
(90) جواد علي، المفصل ...، ج7، ص67.
(91) المرجع نفسه، ص 69.
(92) المرجع نفسه، ج7، ص79، 80.
(93) بيستون، وآخرون، المعجم السبئي، مادة: «ع ل ب «، منشورات جامعة صنعاء،ط1، 1982، ص51.
(94) محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، التراث العربي، الكويت،ط2، ج3، ص 435.
(95) ابن منظور، لسان العرب، ج 9، ص 347.
(96) ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص64.
(97) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص227.
(98) الزبيدي، تاج العروس ج27، ص429. الطبري، تفسير الطبري، ج1، ص 430.
(99) ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص28.
(100) المرجع نفسه، ج12، ص231.
(101) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص 319.
(102) منير عبدالجليلالعريقي، النباتات المقدسة في الحضارة اليمنية القديمة، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، ع9، 1997، ص 317.

كيف تم إعلان الاستقلال من داخل البرلمان السوداني
(دراسة تحليلية)

جامعة السودان المفتوحة

د.أحمد سمي جدو

المستخلص :

تناولت الورقة كيفية تحقيق استقلال السودان بواسطة جهود ومقاومة كلفئات المجتمع السودان الشعبية والسياسية، حتي لحظة اعلانه من داخل البرلمان . وهذا الحراك الثوري قد كان مسنوداً بالأدوار التي لعبتها الجمعيات السرية وغيرة ووطنية القائمين علي أمر تنظيم العمل فيها . كما استعرضت الورقة دور الحركة الوطنية السودانية في مقاومة الاستعمار البريطاني بشتي الوسائل، مثل نشر المقالات عبر جريدة الحضارة وصحيفة صوت السودان، لتنوير وتبصير الشعب . كما ركزت الورقة على دور الأحزاب السياسية ممثلة في حزب الأمةو حزب الاشقاء في تطوير فكرة الحصول على الحكم الذاتي التي قادت إلى اعلان الاستقلال من داخل البرلمان في 19/ 12/ 1955م بواسطة الزعيم المناضل اسماعيل الأزهري، وتثنية النائب مشاور جمعة سهل نائ بدائرة دار حامد بشمال كردفان .

Abstract:

The paper dealt with the independence of the Sudan had been achieved through the efforts and resistance of all the Sudanese people and political groups of Sudanese society, until the moment it was announced from inside the parliament. This revolutionary movement was supported by the roles played by the secret societies, the zeal and patriotism of those in charge of organizing work in them. The paper also reviewed the role of the Sudanese national movement in resisting British colonialization by various means, such as publishing articles through Al-Hadara newspaper and Sawt Al-Sudan newspaper, to enlighten the people.Such as publishing articles through Al-Hadara newspaper and Sawt Al-Sudan newspaper, to enlighten the Sudanese people in all its sectors of the necessity of coordinating efforts towards achieving indepen-

dence and liberation from the grip of the colonialists. The paper also focused on the role of the political parties represented by the Umma Party and the Brothers' Party in developing the idea of obtaining autonomy, which led to the declaration of the independence from inside the Parliament on 12/19/ 1955 AD by the militant leader Ismail Al-Azhari, who was secondedbythe representative, Mashwar Jumaa Sahal, deputy of Dar Hamid district in North Kordofan Province.

المقدمة :

إن استقلال السودان في الأول من يناير 1956م ، يعد من الأحداث المهمة التي شغلت الرأي العام المحلي والإقليمي والعالمي ، وذلك لأنه قد تم في ظروف عصيبة وبالغة التعقيد ، خاصة وأنه كان يخضع سياسياً لدولتين متنافستين للانفراد به ، والتمتع بموقعة الاستراتيجي ، وموارده الطبيعية والمائية وخيراته الوفيرة . فبريطانيا تريد وجوداً استعمارياً في بلد يمثل قلب افريقيا النابض ، الذي يطل علي أماكن استراتيجية تخدم المصالح البريطانية ، فهو يطل علي البحر الأحمر والقرن الأفريقي ، وهو كذلك المعبر لكل دول الجوار الأفريقي ، لتحقيق أحد أهدافها الاستراتيجية في المنطقة ، وهو فصل الجنوب والحاقه بشرق أفريقيا ، لضمان الحفاظ علي الهوية الثقافية والاجتماعية للجنوب ، في مواجهة حكومة مشكلة من أغلبية شمالية مسلمة . أما مصر فقد كانت هي الأخرى تسعي للانفراد بالسودان لتأمين حدودها الجنوبية ،ولتحقيق الاتحاد السياسي بينها وبينه ، لما في السودان من مقومات يمكن أن تسهم في نهضة مصر زراعياً وصناعياً ، لتأمين غذاء شعبها الذي يفتقر إلي الأراضي الزراعية الواسعة والخصبة ، وتأمين منابع النيل لضمان بقائها قوية .وتهدف الورقة الي تنوير وتبصير الجيل الحالي ، بكيفية حصول وطنه السودان علي استقلاله من قبضة المستعمر، من خلال عمل وطني خالص ، ومقاومة وطنية استخدم فيها السودانيون كل الأساليب والتدابيرالمشروعة ، الكفيلة بتحقيق الاستقلال ، ونيل الحرية وبسط السيادة ، علي كامل ترابه وأراضيه ، بعيداً عن أي مهدد خارجي أو نفوذ أجنبي .

أهداف الورقة :

تهدف هذه الورقة إلي الآتي :

1. كشف أبعاد المخطط البريطاني باتجاه الجنوب الذي بدأ في العام 1930م والذي كان يرمي إلي إعادة تحديد معالم كيفية إدارة الجنوب بمعزل عن الشمال .
2. الكشف عن الأساليب والتدابير التي اتخذتها الادارة البريطانية

لإحكام السيطرة على التجار الشماليين ، بتقليص التصاريح الممنوحة لهم ، وحصرهم في المدن والأرياف عبر طرق محددة .

3. التعرف على هدف الادارة البريطانية من وراء انشاء أندية الخريجين بعد الحرب العالمية الأولي التي توقفت في العام 1918م .
4. الوقوف على دور الأحزاب السياسية والتنظيمات الفئوية في تحقيق الاستقلال .
5. فهم وشرح عملية السودنة وكيفية إعلان الاستقلال من داخل البرلمان في 19/12/ 1955م .

أهمية الورقة :

تبدو أهمية الورقة في أنها تسلط الضوء على الأدوار التي أدتها جمعية الاتحاد في العام 1920م ، بقيادة عبيد حاج الأمين ، وتوفيق صالح جبريل ، وسليملن كشة ، وابراهيم بدوي ، وجمعية اللواء الأبيض بقيادة الضابط علي عبد اللطيف في العام 1924م ، والتي تزامنت مع مقتل السير لي استاك حاكم السودان العام في 19 نوفمبر 1924م . وتظهر أهمية الورقة في أنها تفضح المخطط البريطاني ، لفصل الجنوب المسيحي، عن الشمال المسلم ، تمهيداً لتنفيذ سياسة المناطق المقفولة ، وكيف أنهم قد شجعوا التجار الاغريق والسوريين ، ليحلوا محل التجار الجلابة الشماليين . كما وتستعرض الورقة دور الأحزاب السياسية في تحقيق الاستقلال ، ممثلة في حزب الأمة الذي تأسس في العام 1945م، والذي تبني شعار السودان للسودانيين ، في محاولة منه لمقاومة أي اتجاه للوحدة مع مصر . بالاضافة الي دورالأحزاب السياسية الأخري ، التي تولت قيادة الحركة الوطنية تحت مفهوم مقاومة الاستعمار بكل الوسائل المتاحة ، واجباره علي مغادرة السودان ، والتي نجحت في ذلك ، باعلان الاستقلال من داخل البرلمان في جلسة 15/ 12/ 1955م .

المنهج المتبع في كتابة الورقة :

ان المنهج المتبع في كتابة هذه الورقة هو المنهج الوصفي التحليلي المستند الي المصادر الوثائقية ، والمتبع عادة في تحليل الدراسات التاريخية ، بهدف اثراء مادة البحث وموضوعه.

المقاومة الوطنية للاستعمار البريطاني :

إن الغزو الانجليزي للسودان واسقاط دولة المهدية وقتل الخليفة عبد الله وقادته في أم دبيكرات ، قد ولد شعوراً بالغضب والمهانة والاذلال بين السودانيين وخاصة الأنصار ، الذين أيقنوا بأن هزيمتهم من قبل الغزاة قد كانت بسبب تفوق السلاح الناري ، ولذلك صمموا علي مقاومة المحتل مهما

كانت الأسباب . الأمر الذي أدي إلي ظهور بعض الحركات التي ظلت تعتقد بأن المهدية لم تسقط ، والتي عرفت بالحركات العيسوية . ومن قواد تلك الحركات محمد الأمين في جنوب دارفور في العام 1903م، ومحمد آدم في سنجة ومن نتائج تلك الحركة قتل مأمور سنجة 1904م [1]. كما ظهر سليمان ود البشير في مدني وموسي أحمد البرقاوي في كسلا [2]. ثم تلتها ثورة عبد القادر ود حبوبة 1908م ، التي اتخذت منطلقاً دينياً وسياسياً كان أساسه ما آلت إليه الدولة المهدية ذات التوجه الاسلامي . بالإضافة إلي ممارسات الحكم البريطاني التي كرست الظلم وألحقت الأذى بأنصار الامام المهدي [3] .وما يمكن أن يقال عن تلك الفترة أن المقاومة الوطنية قد اتخذت أشكالاً وصوراً مختلفة وفي مناهضة مستمرة للوجود الاستعماري في السودان.

دور الحركات الوطنية خلال الحرب العالمية الأولي وما بعدها:

لقد حاولت الادارة البريطانية خلال تلك الفترة إبطال مفعول دعوات السلطان العثماني وحيد الدين في نوفمبر 1914م الذي رفع راية الجهاد ضد الكفار وطالب بمساندة دولة الخلافة .ولتتجنب حكومة السودان أي رد فعل يمكن أن يحدث في السودان ناشدت زعماء الطوائف الدينية الثلاثة السيد عبد الرحمن المهدي ، والسيد علي الميرغني ، والشريف يوسف الهندي للقيام بطواف علي المديريات لإقناع المواطنين بمساندة بريطانيا في الحرب ضد دول المحور بقيادة ألمانيا وتركيا [4] . وهناك مقاومة السلطان علي دينار التي ظهرت كنتيجة للتدخل البريطاني في الحجاز والشام بهدف القضاء علي النفوذ العثماني في تلك البلاد. وقد قام علي دينار بهذا الدور منطلقاً من دوافع دينية ووطنية حتمت عليه ضرورة مقاومة الانجليز ، وذلك عند قيامهبإرسال عدة خطابات موجهة الي الحاكم العام في الخرطوم منتقداً فيها سياسة الانجليز في مصر ومعاداتهم للإسلام . وقد جاءت مقاومة السلطان علي دينار الموالي للسلطان العثماني متزامنة مع مقاومة زعيم آخر هو أحمد الشريف السنوسي الذي كان يقود المقاومة الوطنية الليبية ضد النفوذ الايطالي في ليبيا ، مهدداً مصالح بريطانيا في قناة السويس في مطلع العام 1915م. وعلي الفور شكلت حكومة السودان حملة قوامها 3000 ألف جندي للقضاء علي السلطان علي دينار في نوفمبر 1916م. [5]

لم تنعم بريطانيا طويلاً بالمكاسب التي حققتها بانتصارها في الحرب العالمية الأولي ، اذ سرعان ما بدأت تلوح في الأفق ارهاصات وبوادر مقاومة وطنية تهدد وجودها في المنطقة العربية وفي مصر ، وذلك بقيام ثورة 1919م التي نادت باستقلال مصر ، وطالبت بجلاء القوات البريطانية عن مصر والسودان[6].

وفي هذه الاثناء وجد السودان نفسه ضمن مستعمرات بريطانيا التي بدأت تنادي بالاستقلال عن طريق الكفاح المسلح ، استناداً علي المبادئ التي طرحها الرئيس الأمريكي ودرو ولسن ، والتي قبلتها بريطانيا وعلي أساسها توقفت الحرب . إلا أن بريطانيا قد كانت تري بأن شعوب مصر والسودان غير مؤهلة للتمتع بحق تقرير المصير.

جمعية الاتحاد:

لقد تشكلت في السودان حركة مقاومة أطلقت علي نفسها جمعية الاتحاد في العام 1920م، والتي كانت لديها خلايا لا يزيد عدد أفرادها عن الخمسة، ولا يوجد أي اتصال بين خلية وأخرى لدواعي السرية. ومن قيادات تلك الجمعية عبيد حاج الأمين ، وتوفيق صالح جبريل ، ومحي الدين جمال أبوسيف، وسليمان كشة ، وابراهيم بدري ، والذين استخدموا أسماءاً مستعارة في كتابة المنشورات والملصقات . ومن أدلة ذلك أن جريدة الحضارة قد نشرت أربع مقالات كتبها حسين شريف 1920م ، أوضح فيها أن مصر ليست في موقف يسمح لها بإدارة السودان ، لأنها هي نفسها تحت الاحتلال ، كما طالب بالغاء الاتفاق الثنائي بين بريطانيا ومصر في إدارة الشأن السوداني [7] .

دور جمعية اللواء الأبيض في مقاومة الاستعمار البريطاني :

وبظهور هذه الجمعية حدث تحول كبير في بنية المقاومة الوطنية السودانية ، بحيث تحولت من حركة ذات قيادة مدنية إلي حركة وطنية يقودها عسكريون ، وذات منهج وأسلوب صارم في التعامل مع الادارة البريطانية بقيادة الضابط علي عبد اللطيف الذي كانت له اتصالات بالضباط المصريين ، وعلاقات متميزة مع عبيد حاج الأمين أحد أعضاء جمعية الاتحاد . فقد قام علي عبد اللطيف بكتابة رسالة أراد نشرها في جريدة الحضارة ، عدد فيها أوجه القصور في الادارة البريطانية ، وحرص علي أن تكون المطالب اصلاحية وليست ثورية، فقد طالب بحق تقرير المصير للسودان ، وفتح مزيد من الفرص لتعليم السودانيين والحاقهم بالوظائف العليا في الخدمة المدنية ، واجراء اصلاحات في المجال الاقتصادي . إلا أن هذا المقال قد أوقف نشره وتمت محاكمة علي عبد اللطيف بالسجن لمدة عام باعتباره محرضاً ضد سلطة قائمة [8]. والجدير بالذكر أن وجود علاقة بين جمعية اللواء الأبيض والضباط المصريين في السودان ، لا يعني أن الجمعية قد تأسست بإيعاز من الحركة الوطنية في مصر ، وأن الجمعية صنيعة مصرية ، وهو الأمر الذي روجت له تقارير مدير الخرطوم E.H.Baily في مذكرة بتاريخ 1925م. وتعتبر ثورة 1924م هي بداية المواجهة مع حكومة السودان عندما أرسلت وفداً يتكون من محمد الخليفة ، وزين العابدين

عبد التام ، مزوداً بعرائض تعبر عن الولاء لملك مصر ، إلا أنه قد تم اكتشاف سفر الوفد فأعيد من وادي حلفا بالقطار ، فحدثت أول مظاهرة سياسية في تاريخ السودان الحديث احتجاجاً علي هذا الاجراء [9] . وقد قامت بتغذية هذه المظاهرة بعض الخطب السياسية من المساجد ، أشهرها خطبة الشيخ حسن الأمين الضرير إمام مسجد الخرطوم ، الذي هاجم بريطانيا ، كما ألقي أحمد ادريس أبو غالب إمام مسجد أم درمان خطبة سياسية أسهمت في انتشار المظاهرات في كل مدن السودان الأبيض ومدني وبورتسودان [10]. ومما زاد الأمر سوءاً علي سوئه مقتل السير لي استاك حاكم عام السودان وسردار الجيش المصري في 19 نوفمبر 1924م ، تم علي أثره سحب الفرقة الرابعة ، ولم يتمكن هدلستون من استخدام القوة ضد فرقة المدفعية التي رفضت الانسحاب ، وعلي أثر ذلك تم تشكيل محاكمة لقادة التمرد في فبراير 1925م بعد توجيه تهمة التمرد لكل من عبد الفضيل الماظ الذي استشهد داخل المستشفى ، وحسن فضل المولي ، وثابت عبد الرحيم ، وسليمان محمد ، الذين أعدموا رمياً بالرصاص. كما صدر العفو عن كل سجناء ثورة 1924م ،ومع ذلك فقد تعرضت جمعية اللواء الأبيض لبعض عوامل الضعف نتج عنها اجهاض كل تحركاتها ، بحيث تمكنت الحكومة من اعادة الهدوء في كل البلاد .ومن العوامل التي أثرت علي أداء جمعية اللواء الأبيض ، ضعف أجهزتها التنظيمية ، وذلك لأنها كانت مخترقة بواسطة جهاز المخابرات الذي كان يتتبع نشاط وتحركات أعضائها بواسطة بعض العملاء[11].

أبعاد المخطط البريطاني خلال 1930م:

لقد ظهرت ملامح هذا المخطط إلي حيز الوجود عندما بدأ الحاكم العام في التوجيه بضرورة إعادة تحديد معالم كيفية إدارة الجنوب ، وذلك بخلق سلسلة من الوحدات العنصرية والقبلية علي أساس العادات والتقاليد المحلية الموروثة تمهيداً لفصل الجنوب عن الشمال المسلم في المستقبل ، وذلك بأن تكون اللغة الانجليزية هي اللغة الرسمية في الجنوب علي أن يتم توفير المتحدثين باللغة الانجليزية بواسطة المدرسة الارسالية الوسطي في منقلا ومدرسة استاك ، ولتنفيذ هذا المخطط بدأت حكومة السودان في تشجيع التجار الاغريق والسوريين ليحلوا محل التجار الجلابة (الشماليين) ، وذلك بتقليص التصاريح التي تمنح لهم بل وقد بدأوا في حصرهم بالمدن والأرياف عبر طرق محددة تمهيداً لتنفيذ سياسة المناطق المقفولة . ولتحقيق هذا الهدف تم تقليص استخدام اللغة العربية باعتبارها مظهر من مظاهر العروبة والاسلام، وأنها ليست لغة الحاكم والمحكوم إذ لابد من أن تتلاشي تدريجياً، ويجب ألا تستخدم

كلغة تفاهم مشتركة Lingufranca والدليل على ذلك فقد وجه السكرتير الاداري خطاباً إلي مدير بحر الغزال في 14مايو 1930م بضرورة اخراج الشماليين من الجنوب بالتدريج مع تجنب استخدام القوة ضدهم (12) .

الأحزاب السياسية ودورها في تحقيق الاستقلال:

أ/ حزب الأمة :

تأسس هذا الحزب في العام 1945م، ولكنه لم يظهر أي برنامج يوضح فلسفته التي يقوم عليهابل وقد كانت قناعة السيد عبد الرحمن المهدي أن مهادنة الانجليز أمر ضروري لأنه يريدتثبيت كيان أنصاره وتنمية موارده المالية ، خاصة بعد أن أوعز له الانجليز بإمكانية تنصيبه ملكاً علي السودان ، بشرط التعاون معهم . الأمر الذي جعله يتبني شعار (السودان للسودانيين)، وذلك لمقاومة أي اتجاه للوحدة مع مصر ، وقد تشكلهذا الحزب من الأنصار الذين يدينون بالولاء والطاعة للسيد عبد الرحمن المهدي وهم زعماء العشائر وشيوخ القبائل التي تحتفظ بولاء تاريخي للمهدية خدمة لمصالحهم المرتبطة بالحزب . ومن قياداته أحمد محمد عثمان الميرغني ومحمد صالح الشنقيطي، وأحمد يوسف هاشم ، والزبير حمد الملك ، وبابو نمر، والملك حسين عدلان [13].

ب/ الأحزاب الاتحادية:

لقد ارتبطت طائفة الختمية بالسيد علي الميرغني الذي تعاون مع الانجليز منذ بداية الاحتلال الذي كان هو الآخر يفكر في اعتلاء عرش السودان، الأمر الذي أبعده كثيراً عن فكرة وحدة وادي النيل والسير وراء المخططات البريطانية لعزل السودان عن مصر تحت شعار (السودان للسودانيين) غير أنهم تراجعوا عن فكرة الملكية وأسسوا لهم حزباً سياسياً باسم الجبهة الوطنية ، لكنهم لم يتمكنوا من جذب المؤيدين أول أمرهم ، إلا أنهم لاحقاً قد نجحوا في استقطاب قيادات الاتحاديين ، وشكلوا حزباً لعب دوراً مقدراً في المسرح الساسي السوداني ، تمكن من انشاء صحيفة باسم (صوت السودان)، وهناك من الأحزاب ما عرف بالأحزاب الاتحادية التي تولت قيادة الحركة الوطنية تحت مفهوم مقاومة الاستعمار واجباره علي المغادرة من كل وادي النيل [14].

أما حزب الأشقاء فقد نجح في جمع مؤيدين كثر لدرجة أنه تمكن من السيطرة علي قيادة المؤتمر في عام 1945م ، بالرغم من أنه لم ينشر برنامجاً واضح المعالم حول سياسته وفلسفته في الحكم ، فقد تبني موقفاً وسطاً بين الاتحاد الفيدرالي والوحدة الكاملة ، ومن أبرز قياداته اسماعيل الأزهري ، ومحمود نور الدين ، واحمد محمد يسن ، ومحمود الفضلي . وهناك

حزب وحدة وادي النيل الذي تأسس في العام 1946م ، تحت شعار الوحدة الكاملة بين مصر والسودان ، وكان يسعي للقيام بدور مؤثر في الحركة الوطنية والساحة السياسية باتجاه مقاومة الاستعمار في كافة صوره وأشكاله .

التمهيد للاستقلال :

انطلاقاً من سياسات الحكومة المصرية التي أحدثت ردود أفعال مباشرة بين السودانيين ، والتي كانت في غالبها سلبية عندما أعلن رئيس الوزراء محمود فهمي النقراشي عزم حكومته علي مراجعة معاهدة 1936م ، والتي عقدت في ظروف هدد فيها موسوليني مصالح بريطانيا من ليبيا وأثيوبيا ، عندما نجحت بريطانيا في تأمين مواقع عسكرية أسهمت في انزال الهزيمة بدول المحور في الشرق الأوسط ،عند اندلاع الحرب العالمية الثانية ، الأمر الذي جعل مصر تقرر مراجعة الاتفاقية عندما علمت بأبعادها الحقيقية للحصول علي مكاسب توازي ما قدمته لبريطانيا ، بالرغم من أن أجل الاتفاقية لم يحن بعد . خاصة وأن الاتفاقية قد سمحت بهجرة مصرية غير محدودة ، مع حقها في التملك ،والشاهد أن بريطانيا قد وافقت علي مضض بمراجعة معاهدة 1936م مركزة علي البنود العسكرية فقط [15] .وعلي الفور قرر مؤتمر الخريجين مع الأحزاب الأخرى تشكيل وفد يسافر الي القاهرة لمراقبة ما يتعلق بشأن السودان بين المتفاوضين ، وقد مثلت الأحزاب الاتحادية بزعامة الأشقاء ، والاستقلاليين بزعامة حزب الأمة ، وتم الاتفاق علي مبدأ موحد هو قيام حكومة ديمقراطية حرة بالاتحاد مع مصر والتحالف مع بريطانيا . إلا أن نوايا المصريين قد ظهرت عندما أعلن صدقي باشا أن أي حديث عن السودان في هذه المفاوضات سيكون في اطار وحدة وادي النيل تحت التاج المصري . الأمر الذي أدي إلي رفض الأحزاب الاستقلالية لهذا المبدأ وغادرت القاهرة ، بينما بقي الاتحاديون الذين اعترفت الحكومة المصرية بتمثيلهم للسودان . وقد تم الاتفاق بين الدولتين علي أن هدف إدارة السودان هو رفاهية الشعب السوداني ، ومشاركة السودانيين في إدارة بلادهم. تمهيداً للحكم الذاتي ، وبعدها تكون لهم الحرية في تقرير مستقبل بلادهم ، مع الاحتفاظ بعلاقات جيدة مع الدولتين . وفي حالة اختيار الاستقلال فسوف تجري ترتيبات بشأن مياه النيل ، وتكوين مجلس مشترك لمتابعة موضوع الحكم الذاتي ، ومن ثم رفع تقارير الحكومتين[16].وبحلول العام 1951م ازداد ضغط حزب الأمة في الجمعية التشريعية ، من أجل تسريع إعلان الحكم الذاتي ، وبالفعل قدم محمد الحاج الأمين مقترحاً في يوم 13 ديسمبر 1951م للحاكم العام بضرورة اعلان منح السودان الحكم الذاتي قبل نهاية هذه الدورة تمشياً مع سياسة كسب الوقت . إلا أن الاقتراح قد سقط بصوت

واحد ، (39-38) فجاء القرار أن ليس من سياسة حكومة السودان تجهيز السودان لحكم ذاتي علي أساس أنه لا يعتمد أي قرار أجيز بأغلبية صوت واحد . الأمر الذي أجبر الجميع علي الاتفاق لوضع نهاية للحكم الثنائي في السودان ، بحيث أفضي ذلك إلي حدوث تقارب بين الأنصار والختمية ، أدي إلي اتفاق بينهما لإقرار تقرير المصير عبر استفتاء تحت رعاية الأمم المتحدة . وقد ساندهم في ذلك حزب الأشقاء وأغلب الأحزاب السياسية الأخرى في يناير 1952م . وعلي الفور سافر وفد مشترك لترويج فكرة تقرير المصير لدي الأمم المتحدة بمساعدةمن مندوب باكستان ظفر الله خان ، ومندوب سوريا فارس خوري ، مما أسهم في تنظيم حملة واسعة بين الأعضاء بتوزيع نشرة رسمية لعرض القضية عي ضوء توصيات لجنة التعديلات الدستورية ، والتي عبرت عن رغبة الشعب السوداني في تقرير المصير عبر الاستفتاء ، مع علم بريطانيا المسبق بأن نتيجة الاستفتاء لن تكون سوي الاستقلال ، فعجلت بتطبيق الحكم الذاتي فوراً، وكتب السكرتير الاداريإلي كل المديرين يطلب منهم الاسراع في تنفيذ وتطبيق الحكم الذاتي، حتي تكسب بريطانيا مساندة الطبقة المتعلمة في مواجهة ادعاء مصر للسيادة علي السودان . بل وحددت ضرورة قيام فترة انتقالية يشكل خلالها مجلس وزراء سوداني مسؤول أمام برلمان يتكون من مجلسين ، مجلس نواب من 81 عضواً منتخباً 24 منهم عبر انتخاب مباشر ، و54 عبر انتخاب غير مباشر ، و3 من دوائر الخريجين ، علي أن يتكون مجلس الشيوخ من خمسين عضواً [17] . وفي 10 يناير 1953م تم توقيع اتفاقية أخري عرفت باتفاقية الجنتلمان وقعها حزب الأمة والحزب الوطني الاتحادي لضمان تنفيذ المقترحات ، جاء في بنودها ضرورة تسليم المساعدات المصرية للحكومة خلال فترة الانتقال ، وأن تتوقف الصحافة عن نشر المواد الاستفزازية التي تؤذي العلاقات الودية بين البلدين . كما تقرر انسحاب القوات البريطانية والمصرية خلال ثلاثة أشهر من اعلان البرلمان ، وأن ترتيبات حق تقرير قد بدأت ، وأن تتولي قوة دفاع السودان تحت اشراف الحكومة لحفظ الأمن والنظام[18]. وفي جلسة يوم 1955/12/15م ورداً علي سؤال أحد النواب ، أفاد الأزهري بأنه سوف يعلن الاستقلال من داخل البرلمان ، مما يعني إلغاء الاستفتاء ، وقد وافقت الأحزاب السياسية علي ذلك ، بالرغم من مطالبة حزب الأمة بضمان ما بعد الاستقلال . وقد حرص الأزهري علي الحصول علي موافقة دولتي الحكم الثنائي في جلسة يوم 1955/12/17م حيث تم الاتفاق علي أربعة مقترحات لتعرض علي البرلمان في جلسة يوم 1955/12/19م وهي:

1. أن تنظر الجمعية التأسيسية عند قيامها في مطالب الجنوبيين لتأسيس دولة فيدرالية للمديريات الجنوبية .
2. إعلان الاستقلال فوراً .
3. تشكيل هيئة تقوم مقام رأس الدولة .
4. قيام جمعية تأسيسية منتخبة لوضع الدستور الدائم للبلاد ، واجازته ووضع قانون الانتخابات للبرلمان ، وقد أجيزت المقترحات الأربعة بالإجماع [19] .

وما أن انعقدت الجلسة التي تحمل الرقم (43) في دورتها الثالثة لأول برلمان سوداني ، وقد كان ذلك يوم الاثنين الموافق 19 ديسمبر 1955م . وعند بداية الجلسة تم تقديم بعض المقترحات وتمت اجازتها ، إلا أن أهم الاقتراحات هو الاقتراح الذي تقدم به النائب عبد الرحمن محمد ابراهيم دبكة نائب دائرة نيالا غرب، وقد كان اقتراحه علي النحو التالي : «سيدي الرئيس أرجو أن أقترح بأن نقدم إلي معالي الحاكم العام الآتي: نحن أعضاء مجلس النواب في البرلمان مجتمعين نعلن باسم الشعب السوداني ، أن السودان قد أصبح دولة مستقلة كاملة السيادة ، ونرجو من معاليكم أن تطلبوا من دولتي الحكم الثنائي الاعتراف بهذا فوراً، وأن اعلان الاستقلال من داخل هذا المجلس أمر طبيعي ومشروع وواجب وطني مقدس بعد أن دخلت البلاد في الطور النهائي من مرحلة الانتقال ، وأننا إذ نسجل للحكومتين البريطانية والمصرية تقديراً لوفائهما بالتزاماتهما في اتفاقية السودان المبرمة في العام 1953م . نأمل جادين في أن تسرع الحكومتان بالاستجابة لهذا النداء الصادر من برلمان الشعب السوداني ، وتعترفا باستقلالنا التام وسيادتنا علي أراضينا ، لأننا نريد لبلادنا استقلالاً كاملاً ونظيفاً ليس فيه نفوذ لأدي دولة أجنبية ، بل نريد حكماً ديمقراطياً يضمن لجميع السودانيين حقوقهم من غير تمييز أو محاباة ، مع تكافؤ الفرص لبناء أمة سودانية موحدة يسودها الرخاء والنماء .» فقام مشاور جمعة سهل نائب دائرة دار حامد شمال كردفان بتثنية الاقتراح المقدم [20]. وعلي الفور قام السيد محمد أحمد محجوب زعيم المعارضة قائلاً « لو كانت مقاعد النواب موضوعة علي الشكل الذي يسمح لنا بأن نجلس اليوم في صف واحد حتي تختفي الحدود والتقاسيم الحزبية ، لما ترددنا لحظة واحدة في ذلك « وأرجو يا سيدي الرئيس أن تسمح لي بأن يعلن هذا المجلس اليوم علي العالم أجمع بأن السودان قد أصبح دولة مستقلة ذات سيادة كاملة . فقام السيد اسماعيل الأزهري وقال قولته المشهورة التي فاجأ بها كل العالم وخاصة دولتي الحكم الثنائي ، وحتي المعارضة السودانية بقيادة محمد أحمد

محجوب ، حيث قال الأزهري « اليوم نعلنها داوية ومن داخل هذا البرلمان أن السودان حراً مستقلاً بكامل حدوده الجغرافية « فصفق الحضور طويلاً ، وتعانق نواب الشعب ، فانهالت التهاني في منظر وطني خالد ، خرجت علي أثره جموع الشعب السوداني فرحة بتحقيق الاستقلال . وبذلك تمت إجازة اقتراح استقلال السودان من أعضاء البرلمان ، فتقدم السيد حسن جبريل سليمان نائب دائرة دارمساليت جنوب بالاقتراح التالي: « وهو قيام رأس دولة سوداني ، وذلك بأن ينتخب هذا البرلمان لجنة من خمسة سودانيين لممارسة سلطات رأس الدولة بمقتضي أحكام الدستور المؤقت الذي سوف يقره البرلمان الحالي حتي يتم انتخاب رأس الدولة ، علي أن تكون الرئاسة دورية « علي أن تضع اللجنة لائحة لتنظيم أعمالها . وقد ثني هذا الاقتراح السيد جشوا ملوال النائب عن دائرة غرب النوير وأجيز بالإجماع .

وفي الجلسة رقم (48) التي انعقدت في يوم الاثنين الموافق 1955/12/26م ، قام السيد مبارك زروق وقدم الاقتراح التالي : «أنه من رأي هذا المجلس أن تكون الآتية أسماؤهم أعضاء في اللجنة الخماسية لممارسة سلطات رأس الدولة بموجب دستور مؤقت يقره البرلمان الحالي « والسادة هم :

1. السيد أحمد محمد صالح
2. السيد أحمد محمد يسن
3. السيد الدرديري محمد عثمان
4. السيد عبد الفتاح المغربي
5. سرسيو ايرو

وقد تمت الموافقة علي هذا التشكيل ، وما أن أعلن الاستقلال حتي بدأت تنهال خطابات التهنئة للحكومة السودانية ، ومن بينها تهنئة من جمال عبد الناصر ، وأخري من سلوبن لويدممثل بريطانيا . وفي أول فبراير تم اعلان الحكومة الوطنية والتي ضمت أحزاب الوطني الاتحادي ، وحزب الأمة ، والحزب الجمهوري الاشتراكي ، والأحزاب الجنوبية ، وتولي رئاستها اسماعيل الأزهري ، كما تم انشاء وزارة الخارجية ، وقدم محمود سيف اليزل خليفة أوراق اعتماده لمجلس السيادة كأول سفير معتمد في الخرطوم . كما قدم السودان طلباً للانضمام للجامعة العربية ، فدعا الرئيس المصري جمال عبد الناصر إلي عقد دورة استثنائية لقبول طلب السودان. كما وجه رسالة إلي الدول العربية عبر فيها عن اعتراف مصر باستقلال السودان [21] وفي الأول من يناير 1956م تم إعلان استقلال السودان بصورة رسمية والذي ما زلنا ننعم به حتي يومنا هذا .

الخاتمة:

لقد كشفت الورقة عن بعض النتائج المهمة ، ويتمثل أبرزها في أن استقلال السودان قد تم علي مراحل متصلة ، بدأتبالأدوار التي قامت بها حركات المقاومة الوطنية المختلفة ، التي انتظمت أرجاء واسعة من السودان ، وقد كان هدفها تحقيق الاستقلال والتحرر من قبضة الاستعمار البريطاني . أولها ظهور الحركات العيسوية ، ومن قوادها محمد الأمين في جنوب دارفور في العام 1903م ، ومحمد آدم في سنجة ، والذي استطاعت حركته قتل مأمور سنجة في العام 1904م ، وسليمان ود البشير في مدني ، وموسي أحمد البرقاوي في كسلا . ومن النتاائج أيضاً قيام ثورة عبد القادر ود حبوبة في العام 1908م .

وهناك مقاومة السلطان علي دينارالتي انطلقت في العام 1914م ، بانحيازه الي صف السلطان العثماني وحيد الدين ، ضد دول الحلفاء بقيادة بريطانيا . ومن تلك النتائج المقاومة الوطنية التي تمثلث في بروز جمعية الاتحاد في العام 1920م ، وهي من الجمعيات السرية ، ومن قادتها الفاعلين والبارزين عبيد حاج الأمين ، وتوفيق صالح جبريل ، ومحي الدين جمال أبو سيف ، وسليمان كشة ، وابراهيم بدري . بالاضافة الي الدور التوعوي والتنويري الذي أدته بقوة جريدة الحضارة ، التي كانت تقوم بنشر مقالات الثائر حسين شريف في العام 1920م ، والتي كانت تطالب بالغاء الاتفاق الثنائي بين مصر وبريطانيا بشأن السودان .

كما أن ظهور جمعية اللواء الأبيض بقيادة الضابط علي عبداللطيف، قد أدي الي تحول كبير في مسار المقاومة الوطنية ، بحيث تحولت من قيادة مدنية الي قيادة عسكرية وذات تنسيق مع الضباط المصريين . وهناك دور أئمة المساجد والدعاة ، في اذكاء الروح الوطنية ، وتعبئة الثوار ضد الاستعمار ، أشهرهم الشيخ حسن الأمين الضرير امام وخطيب مسجد أم درمان ، والذي كانتلخطبه القدح المعلي في انتشار المظاهرات في كل مدن السودان . مع الاشارة الي دور الأحزاب السياسية في تحقيق الاستقلال ، ومنها حزب الأمة الذي نشأ في العام 1945م ، والذي كان شعاره (السودان للسودانيين)في مقاومة منه لأي اتجاه للوحدة مع مصر .بالاضافة الي دور الأحزاب الاتحادية الذي كان من انعكاساته انشاء صحيفة (صوت السودان) ، ومنها حزب الأشقاء الذي سيطر علي علي قيادة مؤتمر الخريجين في العام 1945م ، ومن أبرز قياداته اسماعيل الأزهري . ومن النتائج المهمة كذلك أن ازداد ضغط حزب الأمة في الجمعية التشريعية (البرلمان) ، من أجل تسريع اعلان الحكم الذاتي . الأمر الذي أدي الي حدوث تقارب بين الأنصار والختمية ، أفضي الي الاتفاق علي ضرورة المطالبة بتقرير المصير ، عبر

استفتاء شعبي تحت رعاية الأمم المتحدة في العام 1954م . وفي جلسة 12/15/ 1955م أفاد اسماعيل الأزهري بأنه سوف يعلن الاستقلال من داخل البرلمان ، مما يعني ضمنياً الغاء الاستفتاء المزمع اجراؤه ، فوافقت كل الأحزاب السياسية علي ذلك . وفي الجلسة رقم (43) التي انعقدت يوم الاثنين الموافق 19 ديسمبر 1955م ، تم تقديم مقترح اعلان الاستقلال من داخل البرلمان ، فثناه النائب مشاور جمعة سهل نائب دائرة دار حامد بشمال كردفان ، وأجيز المقترح بالاجماع فصفق الحضور طويلاً ، وتعانق نواب الشعب في البرلمان في منظر وطني خالد وباق، والذي علي أثره خرجت جموع الشعب السوداني فرحاً بتحقيق الاستقلالالذي نتفيأ ظلاله الآن .

التوصيات:

ومن التوصيات التي نادت بها الورقة ما يلي :-

1. اجراء بحوث علمية جادة ورصينة ، حول مدلولات ومعني استقلال السودان من قبضة الاستعمار البريطاني، بعيداً عن أي عناصر تأثير دولية أو اقليمية في ذلك الوقت . وهل استطاع السودانيون استثمار الاستقلال لتجاوز بعض مشاكلهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ولماذا فشل السياسيون السودانيون في الحفاظ علي جنوب السودان في اطار الدولة السودانية الموحدة .
2. تقديم دراسة علمية وفق قراءات سياسية ناضجة ، للوقوف علي امكانية عودة جنوب السودان الي حضن الوطن الأم ، حتي ولو في اطار دولة اتحادية أو دولة كونفدرالية .

المصادر والمراجع:

(1) محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث، مركز محمد عمر بشير ،أم درمان ،2001م ،ص 409.

(2) Henderson,D.D.The Sudan RepublicErrest Ben. London. 1965< p,21.

(3) أحمد خير، كفاح جيل، الدار السودانية للكتب،الخرطوم،1970، ص 18.

(4) محمد عمر بشير ،تاريخ الحركة الوطنية في السودان 1900-1969م ، ترجمة هنري رياض وآخرون ، المطبوعات العربية للتأليف والنشر والترجمة ،الخرطوم ، 1987م ، ص 197 .

(5) Henderson, op.cit,p,113.

(6) جلال يحي ،العالم العربي بين الحربين العالميتين، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1963م،ص165.

(7) محمد عمر بشير ، مرجع سابق، ص80.

(8) ميمونة ميرغني حمزة ، تاريخ السودان الحديث 2 ، جامعة السودان المفتوحة ، 2007،ص152.

(9) Abdel Rahim, Muddather, Imperilism and Nationalism in the Sudan, Khartoum University, 1986, p,106.

(10) محمد عمر بشير، مرجع سابق ،ص91 .

(11) ميمونة ميرغني حمزة ، مرجع سابق ، ص64.

(12) Abdel Rahim Muddather,Op.cit,p, 78.

(13) ميمونة ميرغني حمزة ، مرجع سابق ، ص 275.

(14) نفس المرجع ، ص277.

(15) Fadwa Abdel Rahman Ali Taha, The Anglo-Egptian Dispute over the Sudan ,1937-1947, Khartoum, 2006, p, A.

(16) Fadwa, op.cit,157.

(17) Holt,P,M.ana Daly, The History of the Sudan from the coming of the Islam to the present Days, Weidenfild,Niecolson,p,155.

(18) ميمونة ميرغني حمزة ،مرجع سابق، ص333.

(19) بشير محمد سعيد ، خبايا وأسرار في السياسة السودانية ،دار جامعة الخرطوم للنشر ، 1993م ،ص 226.

(20) https:www.Sudaress.com.

(21) ميمونة ميرغني حمزة ، مرجع سابق ، ص 386.

أحداث و نتائج موقعة صفين
(المحرم 37 هجرية / يونيو 657 م)

د. عبدالمنعم يوسف عبدالحفيظ الزبير

أستاذ مشارك - قسم التاريخ - كلية التربية
جامعة القضارف

المستخلص :

جاءت هذه الورقة بعنوان: **أحداث و نتائج معركة صفين المحرم 37 هجرية / يونيو 657 م** ، و تهدف للتعرف على أسباب النزاع بين سيدنا علي و سيدنا معاوية (رضي الله عنهما) ، و للوقوف على أسباب الموقعة ، و النتائج التي أظهرتها. اتبعت الدراسة المنهج التاريخي و الوصفي و التحليلي ، وتوصلت لعدد من النتائج منها عزل سيدنا معاوية (رضي الله عنه) من قبل سيدنا علي (رضي الله عنه) من ولاية الشام لعدم مبايعة معاوية له بالخلافة. و لم تسفر المعركة عن منتصر أو مهزوم ، نتج عن الموقعة التحكيم بين الفريقين.

الكلمات المفتاحية : صفين – عثمان - علي – معاوية – عمرو - بن العاص - أصحاب.

Abstract:

This paper is titled: **Events and Results of the battle Siffin Al Muharram 37AH / June 657 AD**, and it aims to identify the causes of the conflict between Saydna Ali and Saydna Muawiyah (may God be pleased with them), in order to determine the reasons of the battle, and its results. The study followed the historical, descriptive and analytical method. and it reached a number of results. The withdrawal of saydna Muawiyah (may God be pleased with him) by saydna Ali (may God be pleased with him) from the State of Al-Sham because he did not pledge him in the caliphate. The battle did not result in either a victor or a vanquished, but it results in the arbitration between the two teams.

Key words :Siffin–Osman -Ali – Muawiyah- Amr – Ibn al-Aas – Companions

المقدمة :

أدى النزاع بين سيدنا علي و سيدنا معاوية (رضي الله عنهما) ، إلى وقوع موقعة صفين في المحرم 37 هجرية / يونيو 657 م ، و التي لم تسفر عن منتصر حقيقي فيها نسبة لرفع المصاحف من أصحاب سيدنا معاوية (رضي الله عنه) ، و تحول الطرفان إلى التحكيم .

موقعة صفين [1] :

خرج سيدنا علي (ﷺ) يريد قتال أهل الشام دفاعاً عن القرآن بينما خرج معاوية بن أبي سفيان دفاعاً عن السلطان والحكم إذ أنه فقد ولاية الشام بعد أن استشهد سيدنا عثمان بن عفان (ﷺ) لأن سيدنا علي(ﷺ) رفض أن يقره عليها [2] وقد أدرك سيدنا علي (ﷺ) أن معاوية مزهو بقوته وجنوده ودعم أهل الشام له ولم يكن بقدر قوة الإمام علي (ﷺ) الذي رأى أنه إذا انزل [3] بمعاوية بعض القوة و البأس قد يحمله ذلك على الطاعة و يقبل بالصلح والطاعة ولذلك تحرك نحوه [4] ووقعت الحرب في صفين في المحرم 37 هـ وكان سيدنا علي(ﷺ) قد استخلف على البصرة عبد الله بن العباس (ﷺ) ثم اتجه إلى الكوفة وبدأ يتهيأ للمعركة التي كانت بصفين ، فاستشار الناس في ذلك و أشار عليه قوم بالسير بعيداً عن القوم فأبى إلا المباشرة فجهز الناس ، فبلغ ذلك معاوية فدعا عمرو بن العاص فاستشاره فقال : أما إذا بلغك أنه يسير فسر بنفسك ولا تغب عنه برأيك ومكيدك ، فقال معاوية : أما إذا أبا عبد الله فجهز الناس ، فجاء عمرو فحرض الناس بعد أن ضعف من شأن علي (ﷺ) وأصحابه وقال: إن أهل العراق قد فرقوا جمعهم واوهنوا شوكتهم وخلوا حدهم ، ثم أن أهل البصرة مخالفون لعلي (ﷺ) وقد وترهم وقتلهم ، وقد تفانت صناديدهم ، وصناديد أهل الكوفة يوم الجمل ، و أنما سار في شرذمة قليلة ومنهم من قتل خليفتكم فالله الله في حقكم أن تضيعوه وفي دمكم أن تبطلوه [5].

وكتب معاوية في أجناد الشام وعقد لوائه لعمرو بن العاص وعقد لوردان غلامه فيمن عقد و لابنيه عبد الله ومحمد وعقد سيدنا علي (ﷺ) لغلامه قنبر فقال عمرو[6] :

لا تحسبني يا علي غافلاً
لاوردن الكوفة القنابلاً
بجمعي العام وحمص قابلاً

فبلغ علياً (ﷺ) فقال [7] :

لأوردن العاص بن العاص
سبعين الفاً لما عاقدى النواصى

مستحـــلقين حـلق الدلاص
قد جنبوا الخيـل مع القلاص [8]
آســاد غـيل حـين لا مـناص
أتـم الـناس أعـرفهم بنقصه
و اقمـعهم لشــهوته وحرصه
فدان الناس اعرفهم من يرانى
ومن لم ترض صحبته فاقصه

الاستعداد للمعركة :

كان خـروج سـيدنا عـلي بـن ابـى طالـب (ﷺ) فى المحـرم مـن عـام 37 هـ فمكـث النـاس حتـى إذا دنـا انسـلاخ المحـرم أمـر عـلي (ﷺ) و أرسـل إلى أهـل الشـام وشـد بـن الحـارث فنـادى أهـل الشـام عنـد المغـرب : إلا أن أمـير المؤمنـين يقـول لكـم : إنـى قـد اسـتدمتكم لتراجعـوا الحـق وتنيبـوا إليـه ، فلـم تتناهـوا بكتـاب اللـه عـز وجـل فدعوتكـم إليـه ، فلـم تتناهـوا عـن طغيـان ، ولـم تجيبـوا إلى الحـق و إنـي قـد نبـذت إليكـم عـلى سـواء أن اللـه لا يحـب الخائنـين [9] ففـرع أهـل الشـام الى امرائهـم ورؤسـاءهم ، وخـرج معاويـة وعمـرو بـن العـاص في النـاس يكتبـان الكتائـب ويعبيـان النـاس واوقـدوا النـيران ، وبـات سـيدنا عـلي (ﷺ) ليلتـه يعبـي النـاس ويكتـب الكتائـب ويـدور في النـاس يحرضهـم وكان (ﷺ) يأمـر النـاس في كل موطـن لقـى فيـه عـدواً بقولـه : لا تقاتلـوا القـوم حتـى يبدؤوكـم فأنتـم بحمـد اللـه عـز وجـل عـلى حجـة ، وترككـم حتـى يبدؤوكـم حجـة أخـرى لكـم عليهـم ، ثـم إذا وصلتـم إلى رحـال القـوم ، فـلا تهتكـوا سـتراً ولا تدخلـوا داراً إلا بـإذن ، فـإذا قاتلتموهـم فهزمتموهـم فـلا تقتلـوا مدبـراً ولا تجهـزوا عـلى جريـح ولا تمثلـوا بقتيـل ولا تأخـذوا شـيئاً مـن أموالهـم إلا مـا وجدتـم في عسـكرهم ، ولا تهيجـوا امـرأة بـأذى وإن شـتمت أعراضكـم وسـبت أمراءكـم وصلحاءكـم فإنهـن ضعـاف القـوى والأنفـس ، ورؤى أنـه (ﷺ) يحـرض النـاس فيقـول : عبـاد اللـه اتقـوا اللـه وغضـوا الأبصـار واخفضـوا الأصـوات وأقلـوا الـكلام ووطنـوا أنفسـكم عـلى المنازلـة والمجادلـة والمبـارزة والمناضلـة والمجاهـدة والمعانقـة والمكارمـة والملازمـة ، فاثبتـوا واذكـروا اللـه كثـيراً لعلكـم تعملـون ، ولا تنازعـوا فتفشـلوا وتذهـب ريحكـم واصـبروا فـان اللـه مـع الصابريـن اللهـم ألهمهـم الصـبر وانـزل عليهـم النـصر واعظـم لهـم الأجـر) [10].

جعل سيدنا علي (ﷺ) على خيل أهل الكوفة الأشتر وعلى خيل البصرة سهل بن حنيف وعلى رجالة أهل الكوفة عمار بن ياسر وعلى رجالة أهل البصرة قيس بن سعد وهاشم بن عتبة ومسعر بن مذكى التميمي على قراء أهل البصرة ، وجعل معاوية على ميمنته من ذي الكلاع الحميري وعلى ميسرته حبيب بن مسلمة الفهري ، وعلى مقدمته الأعور

السلمي وكان على خيل أهل الشام ، وجعل عمرو بن العاص على خيل أهل الشام كلها ومسلم بن عقبة المري على رجالة أهل الشام والضحاك ابن قيس على رجالة الناس كلها وكان أهل العراق إحدى عشر صفاً وأهل الشام عشرة صفوف [11] لما بدأ القتال في أول يوم من صفين وكان آخر أيام من شهر ذي الحجة 36 هـ [12] ونلاحظ أن عدداً ليس بالقليل قد شارك في هذه المعركة بين سيدنا علي (ﷺ) و معاوية (ﷺ) .

خرج يومئذٍ من أصحاب علي (ﷺ) الأشتر ومن أصحاب معاوية حبيب بن مسلمه الفهري ودار القتال بين الجانبين لعدة أيام وانهزم أهل الشام مرة ثم نظموا أنفسهم وانتصروا على أهل العراق من جهة الميمنة التي كان عليها عبد الله بن بديل [13] ، فأقبل علي (ﷺ) نحو المسيرة و رأى الأشتر يركض إلى حيث انكشف بن بديل وقال : قل لهؤلاء أين فرارهم من الموت الذي لن تعجزوه إلى الحياة التي لن تبقى لكم فمضى الأشتر فاستقبل أهل العراق منهزمين فقال لهم هذه الكلمات وزحف نحو الميمنة واجتمع إليه الناس وحمل على أهل الشام حتى كشفهم واطلقهم بصفوف معاوية حتى انتهى إلى عبد الله بن بديل الذي قُتل بعد ذلك عندما أراد أن يصل إلى معاوية [14] وقُتل أيضاً عمار بن ياسر الذي كان يقول : اللهم إنك تعلم أني لو أعلم ان رضاك في أن أقذف بنفسي في هذا البحر لفعلته اللهم إنك تعلم إني لو أعلم أن رضاك في أن أضع سيفي في صدري ثم انحنى عليه حتى يخرج من ظهري لفعلت ذلك و إني لا أعلم اليوم عملاً أرضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين وكر على أصحاب معاوية حتى قتل في المعركة [15].

تنبأ الرسول (ﷺ) بمقتل عمار بن ياسر (ﷺ) عندما كان يحفر الخندق مسح على رأسه و قال : (بؤس ابن سمية تقتله فئة باغية) [16] وهذا الحديث يجعل معاوية وأصحابه من أصحاب الفئة الباغية وبالتالي فإن عدم طاعتهم لأمير المؤمنين على بن ابى طالب(ﷺ) لم يجانبهم فيه الصواب .

وقال سيدنا على (ﷺ) عندما علم باستشهاد عمار (17):

وما ظبية تسبى القلوب بطرفها
إذا التفتت خلنا باجفانها سحرا
بأحسن منه كلل السيف وجهه
دماً سبيل الله حتى قضى صبرا

وقف القتال بين الطرفين :

وذات ليلة من ليالي المعركة التي استمر فيها القتال سجالاً بين الطرفين حتى الليل وكانت من اعظم الليالي وكانت ليلة الجمعة ، تحطمت الرماح وتعودت النبال وصار الناس إلى السيوف وكان سيدنا علي ابن أبي طالب (ﷺ) يتقدم الصفوف ويحرض أصحابه على القتال حتى تحطمت السيوف أيضاً وقاتل الناس بالحجارة حتى أصبح صباح يوم الجمعة واستمر القتال بعد صلاة الجمعة وكان النصر حليف سيدنا علي (ﷺ) وأصحابه وانهزم معاوية واصحابه [18] .

وعندما رأى معاوية ما حل بأصحابه لجأ إلى عمرو بن العاص الذي أشار إليه برفع المصاحف على أسنه الرماح وقال : (إني قد رأيت امراً لا يزيدنا إلا اجتماعاً ولا يزيدهم إلا فرقة) فرفع معاوية وجنوده المصاحف كما أشار إليه عمرو بن العاص وبالفعل أثار رفع المصاحف جدلاً واسعاً في أوساط أصحاب على (ﷺ) وادرك البعض أنها لم يرد بها إلا المماطلة وكسب الوقت وقبل سيدنا على (ﷺ) الاحتكام إلي كتاب الله وسنة رسوله [19] (ﷺ) و أرسل سيدنا علي (ﷺ) إلى معاوية يساله لأى شيء رفعتم المصاحف فأجاب نحن وأنتم إلى ما أمر الله عز وجل به في كتابه تبعثون منكم رجلاً ترضون به ونبعث رجلاً منا ، ثم نأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله ، وأراد سيدنا علي (ﷺ) أن يختار ابن عباس (ﷺ) ولكن أبى أصحابه إلا ابا موسى الأشعري(ﷺ) بينما وقع اختيار أهل الشام على عمرو ابن العاص [20].

اجتماع الحكمين بدومة الجندل :

اجتمع الحكمان أبو موسى الأشعري ممثلاً لسيدنا علي بن أبي طالب (ﷺ) وعمرو بن العاص ممثلاً لسيدنا معاوية بن أبي سفيان (ﷺ) ، اجتمعا بدومه الجندل [21] واتفقا على أن يخلعا علياً (ﷺ) ومعاوية وترك الأمر للمسلمين يتشاورون في اختيار خليفة لهم ، وبعد هذا الاتفاق قدم عمرو بن العاص أبا موسى الأشعري ليعلن لعمة المسلمين ما قد تم الاتفاق عليه ، وكان عبد الله بن عباس(ﷺ) قد حذر أبا موسى الأشعري بأن لا يتقدم عمرو بن العاص فيما اتفقا عليه ، ولكن قال عمرو بن العاص لأبي موسى : إن لك السابقة في الإسلام وتكبرني سناً ، فتقدم أبو موسى الأشعري فخلع علياً (ﷺ) وخلع معاوية و عندما جاء عمرو بن العاص خلع علياً ثبت معاوية ، ورجع أصحاب معاوية مبشرين له بالخلافة [22] وهنا تذكر أبو موسى تحذير ابن عباس (ﷺ) له وقال : حذرنيابن عباس من هذا الفاسق ولكن اطمأنت نفسي له فخدعني ، ورجع عبد الله بن عباس (ﷺ) إلى سيدنا علي (ﷺ) وأخبروه بما دار بين الحكمين[23] واعتبر معاوية بعد ذلك أنه صاحب الحق في خلافة المسلمين ، وتعامل على هذا الأساس ، ولو لا أنهم رفعوا المصاحف لكان الأمر مختلفاً تماماً ، دفع معاوية خطر الحرب عن نفسه وعن ولايته التى أصبحت مهددة إذا هُزم [24] ولم يكن سيدنا علي (ﷺ) يظن أن الأمر سيبلغ به هذا المبلغ من تفرق المسلمين وحمل بعضهم على بعض ولو كان يدرك ذلك لما قبل بيعة الجماعة له بالخلافة ، حفاظاً على دماء المسلمين وقد كان لهذه المعركة أثر كبير في نفوس المسلمين ، وكان علي (ﷺ) يأمل أن تكون خلافته خير وبركه على المسلمين بعد استشهاد سيدنا عثمان بن عفان (ﷺ) ولكن لم تمض ستة أشهر حتى جرت أنهار من الدماء [25] .

ويرى ابن تيميه أن سيدنا علي (ﷺ) كان أفضل وأقرب إلى الحق من معاوية وممن قاتل معه لِما ثبت عن الرسول (ﷺ) أنه قال : (مرقت مارقة على حين ، فرقت المسلمين تقتلهم أدنى الطائفتين إلي الحق)، لذلك يرى ابن تيميه أن معاوية لم يدع الخلافة ولم يبايع

له بها حين قاتل علياً (ﷺ) ، ولم يقاتل على ذلك ولا على انه أحق بالخلافة من علي (ﷺ) وأقر معاوية بذلك ، ولكن رأى سيدنا علي (ﷺ) ضرورة مبايعة معاوية عامل الشام والاستجابة لتعيين عامل آخر مكانه حسبما فعل علي (ﷺ) في سائر الولايات الأخرى ولما أبى معاوية قاتله علي (ﷺ) على ذلك ، ويعتقد معاوية إن وجود قتلة سيدنا عثمان (ﷺ) في معسكر علي (ﷺ) يوجب عدم طاعته ، بل وتخوف أصحاب معاوية أن يبايعوا وقد قتل عثمان (ﷺ) مظلوماً ، تخوفوا أن يقتلوا فقالوا : (علينا مبايعة خليفة يقدر على أن ينصفنا ويبذل لنا الإنصاف)[26] .

استعمال علي(ﷺ) جعدة بن هبيرة المخزومي [27] على خراسان في 36هـ و عندما عاد من صفين وانتهي إلى نيسابور وجد الناس قد كفروا به وامتنعوا عنه فرجع إلى علي فبعث خليد بن قرة إلى خرسان فحاصر أهلها حتى صالحوه [28].

أرسل معاوية عبد الله الحضرمي إلى البصرة في سنة 38هـ وقال له : إن جل أهلها يرون رأينا في عثمان (ﷺ) وقد قتلوا في الطلب بدمه فهم لذلك حانقون يودون أن يأتيهم من يجمعهم وينهض بهم في الطلب بثأرهم ودم إمامهم فانزل في مصر وتودد الأزد [29] فإنهم كلهم معك ودع ربيعة [30] فلن ينحرف عنك أحد سواهم لأنهم كلهم ترابية فاحذرهم فسار ابن الحضرمي حتى قدم البصرة وكان ابن عباس قد خرج إلي علي بالكوفة واستخلف زياد بن أبيه [31] علي البصرة فلما وصل ابن الحضرمي إلي البصرة نزل في بني تميم فأتاه العثمانية مسلمين عليه وحضر غيرهم فخطبهم وقال إن عثمان إمامكم إمام الهدي قتل مظلوماً قتله علي فطلبتم بدمه فجزاكم الله خيرا فقام الضحاك بن قيس الهلالي وكان علي شرطة ابن عباس فقال قبح الله ما جئتنا به وما تدعونا إليه أتيتنا والله بمثل ما أتانا به طلحة والزبير أتيانا وقد بايعنا عليا واستقامت أمورنا فحملانا علي الفرقة حتى ضرب بعضنا بعضاً ونحن الآن مجتمعون علي بيعته [32] .

النزاع حول ولاية مصر :

حدث نزاع حول ولاية مصر التي كان عليها عبد الله بن ابى السرح من قبل سيدنا عثمان بن عفان (ﷺ) و خرج منها أيام حصار الناس له فاستولى عليها أبو حذيفة [33] ولما استشهد سيدنا عثمان بن عفان (ﷺ) ولى سيدنا علي (رضي الله عنه)عليها قيس سعد بن عبادة الأنصاري [34] وحمله كتاباً يقرأه على أهل مصر جاء فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، ثم حمد الله واثنى عليه ، وعظم الاسلام وما جاء به محمد بن عبد الله (ﷺ) ثم قال : من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من بلغه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين ، قد بعثت اليكم قيس الاسعد بن عباده أميراً فآزروه وعينوه على الحق وقد أمرته بالإحسان إلى محسنكم والشدة على مربيكم والرفق لعوامكم وخواصكم وهو ممن أرضى هديه وأرجو صلاحه واسأل الله لنا ولكم عملاً زكياً وثواباً جزيلاً ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ثم خطب فيهم قائلاً : بعد أن حمد الله واثنى عليه (الحمد لله الذى جاء بالحق وأمات

الباطل وكبت الظالمين ، أيها الناس إننا قد بايعنا خير من نعلم بعد محمد نبينا (ﷺ) فقوموا أيها الناس وبايعوا على كتاب الله وسنه رسوله (ﷺ) فإن لم نعمل بذلك فلا بيعه لنا عليكم ، فقام الناس فبايعوه واستقامت له مصر فبعث عليها عماله [35] إلا قرية منها يقال لها (خربتا) [36] فيها أناس قد عظموا قتل سيدنا عثمان (ﷺ) وبها رجل من كنانه ثم من بنى مدلج يقال له يزيد بن الحارث بن أبى الحارث المدلجي فبعث هؤلاء إلى قيس وعاهدوه على عدم قتاله إذا لم يقاتلهم [37] ، وربما رأى أن يهادنهم حتى يستقيم له الأمر .

مراسلة معاوية والي مصر :

وكاتب والي الشام معاوية قيس بعد أن خاف أن يقع بينه وبين أهل العراق فكاتبه قائلاً :(لم يكن يحل لكم ، فقد ركبتم عظيماً وجئتم شئياً إذاً فتب إلى الله عز وجل يا قيس بن سعد بن عبادة فإنك كنت في المحرضين على عثمان (ﷺ) ، إن كانت التوبة من قتل المؤمنين تغني شئياً فأما صاحبكم فإنا استيقنا أنه الذي أغرب الناس وحملهم على قتله فقتلوه وأنه لم يسلم من دمه عظم قومك ، فان استطعت يا قيس أن تكون ممن يطلب دم عثمان (ﷺ) فافعل و تابعنا على أمرنا ولك سلطان العراقيين إذا اظهرت ما بقيت ، ولمن احببت من أهل بيتك سلطان الحجاز مادام لسلطان وسلني غير هذا ما تحب فإنك لا تسالني شيء إلا أديته ، واكتب إلي برأيك فيما كتبت إليك) [38] .

رد قيس بن سعد بن عبادة على معاوية رداً فيه شيء من المناورة وسياسة كسب الوقت حتى يعلم نوايا معاوية: (أما بعد فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت فيه من قتل عثمان بن عفان (ﷺ) ، فأول الناس قياماً فيه عشيرتي وأما ما سألتني من مبايعتك وعرضت علي من الجزاء فقد فهمته وهذا أمر لي فيه نظر وفكر وليس هذا ما يسرع إليه ، وأنا كافي عنك ولن يأتيك من قبلي شيء تكرهه حتى ترى ونرى إن شاء الله و المستجار هو الله عز وجل والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته) [39] .

فرد معاوية : (أما بعد فقد قرأت كتابك فلم أرك ترنو فأعدك سلماً ولم أرك تباعد فأعدك حرباً أنت فيما هاهنا لحنك الجذور ، وليس مثلي يصانع المخادع ولا ينتزع المكائد ومعه عدد الرجال وبيده أعنّة الخيل والسلام) ، فلما قرأ قيس كتاب معاوية رأى أنه لا يقبل معه الموافقة والمماطلة وأظهر له ذات نفسه كتب إليه قائلاً : (بسم الله الرحمن الرحيم ، من قيس بن سعد إلى معاوية بن أبي سفيان أما بعد ، فان العجب من اغترارك بي وطمعك فيّ ستساقطك رأى أسوأ من الخروج من طاعة أولى الناس بالأمر وأقولهم للحق وأهداهم سبيلهم وأقربهم من رسول الله (ﷺ) تأمرني بالدخول في طاعتك طاعة أبعد الناس من هذا الأمر وأقولهم للزور وأضلهم سبيلاً وأبعدهم من الله عز وجل ورسوله (ﷺ) ولد ضالين مضلين ، طاغوت من طواغيت إبليس ، وأما قولك أني مالئ عليك مصر خيلاً ورجالاً فو الله إن لم أشغلك بنفسك حتى تكون نفسك أهم إليك ، أنك لذو جدّ والسلام) [40] .

علم معاوية بن أبي سفيان من هذا الكتاب الذي يظهر قوة شخصية كاتبه أنه لا

أمل في أن يتبعه قيس بن سعد بن عبادة وفي ذات الوقت توجس منه خيفة ، فلجأ للمكايدة والمخادعة وقد نجح في ذلك إلى حد كبير وقال معاوية : يحدث رجلاً من قريش وإن من أهل الرأي في قريش : والله ما ابتدعت مكايدة قط كانت اعجب عندي من مكايدة كدت بها جيش من قبل علي (ﷺ) وهو بالعراق حين امتنع من قيس قلت لأهل الشام لا تسبوا قيس بن سعد ولا تدعوا إلي غزوه فانه لنا شيعه يأتينا كيس نصيحته سراً أما ترون ما يفعل مع إخوانك الذين عنده من أهل (خربتا) يجرى عليهم عطياتهم وأرزاقهم ويؤمن سيرهم إلى كل راكب قدم عليه منكم ولا يستنكرونه في شيء فوصل ما قاله معاوية إلى محمد بن أبي بكر (ﷺ) ومحمد بن علي ابن أبي طالب(ﷺ) فأخبرا أمير المؤمنين (ﷺ) بما يقول معاوية فلم يعلم(ﷺ) إنها مخادعة من معاوية فكتب إلى قيس يدعوه أن يقتل أهل (خربتا) وقد صالحهم قيس وعاهدهم ألا يقتلهم ، فأبى قيس فعزله عن ولاية مصر ، ولكن تسابق الأحداث في مصر وضح لعلي (ﷺ) أن عامله على مصر قيس بن سعد بن عبادة كان يعاني من أمور عظيمة ومكايدة من قبل معاوية وقد شهد مع علي موقعة صفين[41].

تعين الأشتر والياً على مصر :

عين سيدنا على (ﷺ) على ولاية مصر خلفاً لقيس بن سعد محمد بن ابى بكر الصديق (ﷺ) فكان ذلك في عام 38هـ ولكن استخف به المصريون لكونه شاب ابن الست وعشرين عاماً فرأى سيدنا علي (ﷺ) عزله وعين الأشتر خلفاً له (42) وهو مالك بن الحارث (43) وكتب إليه كتاباً جاء فيه : (هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين إلى مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه ، حين ولاه على مصر : جبايه خراجها ، وجهاد عدوها ، واستصلاح أهلها وعمارة بلادها . امره بتقوى الله وايثار طاعته ، واتباع ما أمر به في كتابه فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد إلا باتباعها ، ولا يشقى إلا مع جحودها واضاعتها ، وأن ينصر الله تعالى بيده وقلبه ولسانه ، فانه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره ، واعزاز من أعزه ، وأمره أن يكسر من نفسه عند الشهوات فإن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم الله ، ثم اعلم يا مالك أنى وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك: من عدل وجور ، وأن الناس ينظرون من امورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمر الولاة قبلك، ويقولون كما كنت تقول فيهم . و أنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده ، فليكن أحب الزخائر إليك زخيرة العمل الصالح ، ما ملك هواك وشح بنفسك عما لا يحل لك ، فإن الشح بالنفس الانتصاف منها فيما أحبت وكرهت وأشعر قلبك بالرحمة للرعية ، والمحبة لهم ، واللطف بهم ، ولا تكونن عليهم مسبباً ضارياً ، تغتنم أكلها ، فإنهم صنفان : أما أخ لك في الدين ، وأما نظير لك في الخلق : يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل ... [44] .

وفاة الأشتر بالقُلزُم :

أخذ الأشتر كتاب سيدنا علي (ﷺ) وخرج به إلى مصر ولكن معاوية بن أبى سفيان علم بتعيين الأشتر على ولاية مصر وعلم أنه سيمنعها منه لحزمه وشجاعته ، وكان معاوية

يطمع في أخذ مصر من محمد بن أبى بكر (ﷺ) فأوعز إلى أحد رجاله ويدعى الخانسار وكان بالقُلزُم [45]) فقدم طعاماً إلى الأشتر وكان من العسل وقد سمه فمات الأشتر بسببه فلما بلغ ذلك معاوية وعمراً قالا : (أن لله جنوداً من العسل) [46] فلما علم علي (ﷺ) بمقتل الأشتر أبقى على ولاية مصر محمد بن أبى بكر الصديق(ﷺ) وقصد عمرو ابن العاص مصر، فلما علم محمد بن أبى بكر الصديق (ﷺ) بذلك أدرك أن ابن العاص يريد شراً فخطب في الناس وحثهم على القتال وقال لهم : (إن الذين ارادوا الفتنة والتفريق بين الناس جاءوا إليكم في جند ليقاتلوكم) ، ودفع اللواء إلى كنانه بن بشر الذي استطاع أن يرد كتائب عمرو بن العاص الذي استنجد بمعاوية بن حديج ، فأحاط معاوية بكنانة بن بشر فقاتلهم قتالاً شديداً حتى استشهد ، ولما بلغ ذلك أصحاب محمد بن أبي بكر الصديق (ﷺ) تفرقوا عنه ، فخرج محمد حتى انتهى إلى قرية بالريف المصري ، وكان معاوية بن حديج يتعقبه ، حتى وجده فأرسل إلى عمرو بن العاص يخبره بأنه تمكن من محمد بن أبى بكر الصديق (ﷺ) فطلب منه عمرو بن العاص أن يرسله إليه لأن أخيه عبد الرحمن طلب من معاوية ابن أبى سفيان عدم قتله ، ولكن بن حديج منع عنه الماء وقال له : أقتلك بعثمان (ﷺ) وقال محمد : (مالك أنت وعثمان ودار بينهما حوار طويل اغضب معاوية بن حديج فقتل محمد بن أبي بكر الصديق (ﷺ) ثم ألقاه في جيفة حمار وأحرقه و لما بلغ ذلك ام المؤمنين عائشة (رضى الله عنها) حزنت عليه حزناً شديداً ودعت على معاوية وعمرو بن العاص وحضنت أبناء محمد بن أبي بكر (ﷺ) وكان القاسم في عيالها وكان ذلك في 38هـ [47] واستولى عمرو بن العاص على مصر وخرجت عن أمصار سيدنا على أبي طالب ([48] (ﷺ) .

استشهاد سيدنا على بن أبي طالب (ﷺ) :

بايع أهل الشام معاوية بن أبى سفيان بالخلافة وعمد معاوية بعد هذه المبايعة على تفريق جيوشه على الأمصار ليهاجموا عمال سيدنا علي بن أبي طالب (ﷺ) حتى أنه حاول دخول المدينة ومكة بهذه الجيوش ولكن استطاع سيدنا علي (ﷺ) أن يصده وأيضا نازع عامله على الحج وكان ذلك في39هـ [49] .

زهد سيدنا علي بن أبي طالب (ﷺ) عن الحكم ومكث بالكوفة حتى لقي ربه فيها وذكر ابن سعد انه (ﷺ) قال : (ما يحبس أشقاكم أن يجئ ليقتلني ؟ اللهم قد سئمتهم وسئموني فأرسلهم منى وارحمني منهم) [50] وقال الرسول (ﷺ): (أشقى الأولين عاقر الناقة أشقى الآخرين الذي يطعنك) ، أشار (ﷺ) إلي حيث يطعن[51] .

ارتبط استشهاده (ﷺ) بصراعه مع معاوية بن أبي سفيان ، والتحكيم الذي أدى إلى ظهور الخوارج (52) وقد انتدب الخوارج ثلاثة منهم وهم عبد الرحمن بن ملجم المرادي وكلف بقتل سيدنا علي (ﷺ) وجدير بالذكر بان عبد الرحمن بن ملجم عندما بويع سيدنا على (ﷺ) بالمسجد جاء مع الناس فرده علي (ﷺ) مرتين وفى الثالثة قال له : (لتخضبن هذه) وأشار إلي لحيته ، وجاء رجل من سيدنا علي (ﷺ) فقال : (احترس يا أمير المؤمنين ،

أناس من مراد يريدون قتلك) فقال علي (ﷺ) : ان لكل رجل ملكين يحفظانه من ما لم يقدر فإذا جاء القدر خليا بينه وبين القدر (53) وكُلف البرك بن عبد الله التميمي بمعاوية بن أبى سفيان وكلف عمرو بن بكر التميمي بعمرو بن العاص ، فاخفق الاثنان في المهمة بينما أفلح ابن ملجم في قتل سيدنا علي(ﷺ) ، ارتحل ابن ملجم إلى الكوفة وفيها خطب امرأة من الخوارج قتل أخوها وأبوها بالنهروان وطلبت من ابن ملجم مهرها ثلاثة ألف دينار وقتل علي (54) (ﷺ)، انتقاماً لقتل أخيها و أبيها .

خرج علي (ﷺ) إلى صلاة الصبح من رمضان عام 40هجرية وكان يوم الجمعة وليلة السبت خرج ومعه الحسن والحسين أبناءه (ﷺ) وكان ينادي الناس بقوله : أيها الناس الصلاة – الصلاة ، فهجم عليه عبد الرحمن بن ملجم ومعه شبيب بن بجرة وهو من الخوارج أيضاً وهم يرددون الحكم لله يا علي لا لك ، وضربه بن ملجم بالسيف ، فقال : لا يفتنكم الرجل فسد الناس عليهما من كل جانب فهرب شبيب وقبض ابن ملجم وادخل على علي (ﷺ) وهو في الفراش فقال : أطيبوا طعامه وألينوا فراشه فان عشت فأنا اولى به منكم وإن مت فاقتصوا منه [55] مكث علي (ﷺ) يوم الجمعة وليلة السبت وتوفي (رحمة الله عليه) يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان عام 40هجرية وغسله الحسن و الحسين وعبد الله بن جعفر وكفن في ثلاثة ثياب ليس فيها قميص [56] .

الخاتمة :

توقف القتال بين الجانبين بعد أن رفعت المصاحف على أسنة الرماح ، و قرر الطرفان الذهاب إلى التحكيم ، تردد أصحاب علي كثيراً ولكنه حسب الأمر بالخضوع إلى هذا الأمر ، اختار علي رضي الله عنه أباموسى الأشعري ليمثله و شيعته في التحكيم بينما اختار معاوية رضي الله عنه عمرو بن العاص ليمثله و شيعته في التحكيم و التقا الحكمان في دومة الجندل .

النتائج :

- عزل سيدنا معاوية (رضي الله عنه) من قبل سيدنا علي (رضي الله عنه) من ولاية الشام أدى لعدم بيعة معاوية له بالخلافة
- و لم تسفر الموقعة عن منتصر حقيقي أو مهزوم حقيقي .
- نتج عن الموقعة التحكيم بين الفريقين .
- أدى التحكيم لخروج بعض أصحاب علي (رضي الله عنه) عن طاعته.
- انتدب الخواج رجال منهم لقتل سيدنا علي (رضي الله عنه) و سيدنا معاوية (رضي الله عنه) و سيدنا عمرو بن العاص (رضي الله عنه) .
- نجح الخوارج في قتل سيدنا علي (رضي الله عنه) .

ملحق:
كتاب علي بن أبي طالب إلى الاشتر (57) :

هـذا مـا أمـر بـه عبـد اللـه عـلي أمـير المؤمنـين إلى مالـك بـن الحـارث الأشـتر في عهـده إليـه ، حـين ولاه عـلى مـصر : جبايـه خراجهـا ، وجهـاد عدوهـا ، واسـتصلاح أهلهـا وعمـارة بلادهـا . امـره بتقـوى اللـه وايثـار طاعتـه ، واتبـاع مـا أمـر بـه في كتابـه فرائضـه وسـننه التـي لا يسـعد أحـد إلا باتباعهـا ، ولا يشـقى إلا مـع جحودهـا واضاعتهـا ، وأن ينـصر اللـه تعـالى بيـده وقلبـه ولسـانه ، فانـه جـل اسـمه قـد تكفل بنـصر مـن نـصره ، واعـزاز مـن أعـزه ، وأمـره أن يكـسر مـن نفسـه عنـد الشـهوات فـإن النفـس لأمـارة بالسـوء إلا مـا رحـم اللـه .

ثم أعلم يا مالك أنى وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك: من عدل وجور ، وأن الناس ينظرون من امورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمر الولاة قبلك، ويقولون كما كنت تقول فيهم . و أنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده ، فليكن أحب الزخائر إليك زخيرة العمل الصالح ، ما ملك هواك وشح بنفسك عما لا يحل لك ، فإن الشح بالنفس الانتصاف منها فيما أحبت وكرهت وأشعر قلبك بالرحمة للرعية ، والمحبة لهم ، واللطف بهم ، ولا تكونن عليهم مسبباً ضارياً ، تغتنم أكلها ، فإنهم صنفان : أما أخ لك في الدين ، وأما نظير لك في الخلق : يفرط منهم الزلل،وتعرض لهم العلل ، ويؤتي على أيديهم في العمد والخطأ : فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه : فإنك فوقهم وولي الأمر عليك فوقك ، والله فوق من ولاك . وقد استكفاك أمرهم، وابتلاك بهم ، ولا تنصبن نفسك لحرب الله ، فإنه لا يدي لك بنقمته ، ولا غني بك عن عفوه ورحمته ، ولا تندمن على عفو ، ولا تبجحن بعقوبة ، ولا تسرعن إلى بادرة وجدت عنها مندوحة ، ولا تقولن أني آمُر أمر فأُطاع : فان ذلك ادغال فى القلب ، ومهلكة فى الدين ، وتقرب من الغير . وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك ابهة أو مخيلة ، فانظر إلى عظم ملك الله تعالى فوقك ، وقدرته منك على مالا تقدر عليه من نفسك ، فإان ذلك يطامن إليك من طماحك ويكف عنك من غربك ويفئ إليك : ما عزب عنك عقلك . وإياك ومساماة الله تعالى فى عظمته، والتشبه به فى جبروته ، فإان الله يذل كل جبار ، ويهين كل محتال .

انصف الله وانصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك وممن لك فيه هوى من رعيتك : فإنك الا تفعل تظلم ، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ومن خاصمه الله ، ادحض حجته وكان لله حرباً حتى ينزع ويتوب . وليس شيء ادعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامةً على ظلم فإن الله سميع يسمع دهوة المظلومين وهو للظالمين بالمرصاد . وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق ، وأعمها فى العدل ، وأجمعها لرضا الرعية، فإن سخط العامة يجحف برضا الخاصة ، وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضا العامة ، وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي موونة في الرخاء ، وأقل معونة له فى البلاء ،

وأكره لانصاف وأسال بالإلحاف ، وأقل شكراً عند الإعطاء ، وأبطأ عذراً عند المنع ، وأضعف صبراً عند ملمات الدهر ، من أهل الخاصة ، وإنما عمود الدين ، وجماع المسلمين ، والعدة للأعداء العامة من الأمة . فليكن صغوك لهم ، وميلك معهم ، وليكن أبعد رعيتك منك ، وأشنؤهم عندك ، أطلبهم لمغايب الناس : فإن في الناس عيوباً الوالي أحق بسترها ، فلا تكشفن عما غاب عنك منها ، فإنما عليك تطهير ما ظهر لك والله يحكم على ما غاب عنك منها فاستر العورة ما استطعت يستر الله ما تحب ستره من عيبك . أطلق عن الناس عقدة كل حقد ، واقطع عنهم سبب كل وتر ، وتغاب عن كل ما لا يضح لك ، ولا تعجلن إلى تصديق ساع : فإن الساعي غاش وإن تشبه بالناصحين ، ولا تدخلن فى مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر ، ولا جباناً يضعفك عن الأمور ، ولا حريصاً يزين لك الشر بالجور : فان البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله .

إن شر وزارئك من كان للأشرار قبلك وزيراً ومن شاركهم فى الآثام ، فلا يكونن لك بطانة ، فإنهم أعوان الاثمة ، وأخوان الظلمة ، وأنت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفاذهم ، وليس عليه مثل آصارهم واوزارهم : ممن لم يعاون ظالماً على ظلمه ، ولا آثماً على اثمه ، أولئك أخف عليك موونة ، وأحسن لك معونة ، وأحنى عليك عطفاً ، وأاقل لغيرك ألفاً ، فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم لك بأمر الحق ، وأقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه ، واقعاً ذلك من هواك حيث وقع ، والصق بأهل الورع والصدق ، ثم رضهم على ان لا يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله: فان كثرة الإطراء تحدث الزهو وتدني من الغرة . ولا يكونن المحسن والمسئ عندك بمنزلةٍ واحدةٍ ،فإن في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان وتدريباً لأهل الإساءة على الاساءة :

وأنك لا تدري إذا جاء سائل أأنت بما تعطيه أم هو أسعد
عسى سائل ذو حاجةٍ أن منعته من اليوم سؤلاً أن يكون له غد
وفي كثرة الأيدى عن الجهل زاجر وللحلم أبقى للرجال وأعود

المصادر و المراجع :

(1) صفين بكسر الصاد ، صحراء ذات كرى واكمات ، وقيل صفين هو موقع بقرب الرقة (والرقة بفتح أوله وثانيه وتشديده ، هي كل أرض إلى جانب وادٍ ينبسط عليها الماء وهي مدينة مشهورة على نهر الفرات ، ومعدودة من بلاد الجزيرة العربية لأنها من جانب الفرات الشرقي) على شاطيء الفرات من الجانب الغربي ، وقيل أن مده المقام بها كان مائة يوم وعشرة وقيل فيها سبعون الفاً وكانت والوقائع بها تسعين واقعة ، الحنبلي ، أبى الفلاج عبد الحي أبى العماد ،شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، المجلد الأول ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، بدون تاريخ ، ص 44/45 ، ابن كثير أبو الفداء الحافظ الدمشقي ،البداية والنهاية، الجزء السابع ، دار الريان ، القاهرة 1407هـ 1988-م، ص 264 ، ياقوت ، شهاب الدين أبي عبد الله الحموي ، معجم البلدان / 3 ، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1410هـ / 1990م ، ص 471.

(2) الزين ، حسن ، الإمام علي بن أبي طالب و تجربة الحكم ، دار الفكر الحديث للطباعة ، 1994 م بيروت ، ص 39

(3) خالد ، محمد خالد ، خلفاء الرسول (صلى الله عليه و سلم)، في رحاب علي (رضي الله عنه)، دار المقطم للطباعة و النشر ، القاهرة،1415 هـ / 1994 م ، ص 189.

(4) الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الأملي، تاريخ الرسل والملوك، الجزء الثالث ، ط2، دار التراث، بيروت، 1387هـ ، ص 71/72.

(5) المصدر نفسه .

(6) ابن عبد المطلب ، علي بن ابي طالب ، ديوان الإمام علي ، مكتبة فياض ، القاهرة ، 1998م،ص 75 .

(7) أي لا يصلحوا الا لرعي النوق جانب الماء ، ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري، لسان العرب، الجز السابع ، ط3 ، دار صادر ، بيروت ، 1414هـ ، ص 81 .

(8) ابن الأثير: أبو الحسن عز الدين بن أبي الكرم محمد بن محمد عبد الكريم، الكامل في التاريخ الجزء الخامس ، دار الكتاب العربي ، بيروت ،1997م ، ، ص 149.

(9) الطبري ، مصدر سابق / ج 3 ، ص 182.

(10) ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، الجزء الرابع ، تحقيق محمد مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1412هـ/1992م ، ص 118 .

(11) ذكر نصر بن مزاحم المنقري ، إن أول يوم في صفين كان في صفر 37 هـ ، المنقري ، نصر بن مزاحم ، (ت 212هـ) ، موقعة صفين ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الثانية ، المؤسسة العربية الحديثة للنشر ، بيروت ، 1382هـ ، ص 87/91 .

(12) المصدر نفسه .

(13) عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي من جملة التابعين ومشايخ مكة قتل يوم صفين في أصحاب علي بن أبي طالب(ﷺ) ، أبو حاتم، محمد بن حبان أحمد التميمي (ت 354هـ)، مشاهير علماء الأمصار، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1959ص 83 ، و إبراهيم ، محمد أبو الفضل و البجاوي ، علي محمد ، أيام العرب في الإسلام ، بيروت ، المكتبة العصرية ، 1396 هـ/1973 م ، ص 367.

(14) الطبري ، مصدر سابق /3 ، ص 182.

(15) ابن الاثير ، مصدر سابق / 5 ، ص 152.

(16) ابن تيمية ، تقي الدين أحمد بن الحكيم ، الفتاوي الكبرى ، الجزء الرابع ، دار المعرفة ، بيروت، 1384هـ/1965م ، ص 4 .

(17) ابن عبد المطلب ، ص 66.

(18) التميمي ، أبو العرب محمد بن احمد ، ت 333 ، كتاب المحن ، تحقيق يحيى وهيب الجبدري ، الطبعة الثانية ، بيروت ، دار الفكر الإسلامي ، 1408 هـ / 1988 م ، ص 144 .

(19) ابن كثير ، مصدر سابق /7 ، ص282.

(20) - حميد الله ، محمد ، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، الطبعة السادسة ، بيروت – دار النفائس ، 1407هـ / 1987م ، ص 438/441 . .

(21) دومه الجندل حصن ابتناه أحد أبناء سيدنا إسماعيل (عليه السلام) واسمه دما أو دماء ابن إسماعيل ويقع هذا الحصن بين دمشق والمدينة المنورة ، وكانت به بنو كنانة ، افتتحه خالد بن الوليد سنة 9هـ ، ياقوت ، مصدر سابق / 2 ، ص554 .

(22) ابن الجوزي ، مصدر سابق / 5 ، ص 102.

(23) الطبري ، مصدر سابق / 3 ، ص 102 .

(24) حسن الزين ، مرجع سابق ، ص 78.

(25) طه ، حسين ، الفتنة الكبرى ، علي وبنوه ، الطبعة التاسعة ، دار المعارف ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص 39

(26) ابن تيمية ، مصدر سابق / 3 ، ص 407 والفتاوى / 25، ص 72/73 .

(27) هو جعدة بن هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزومي من الصحابة وروى عن الرسول (ﷺ) ، أبو الحسن ، عبد الباقي بن قانع ، (265هـ- 351 هـ) ،معجم الصحابة ، الجزء الأول ، تحقيق صلاح سالم المصراتي ، مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة المنورة ، 1418 هـ ، ص 153.

(28) هو خليد بن قرة بن طريف اليربوعي ، ابن الأثير ، مصدر سابق / 3 ، ص 195.

(29) قدم وفد الأزد من دبا مقرين بالإسلام على رسول الله (ﷺ)فبعث عليهم مصدقاً منهم يقال له حذيفة بن محصن البارقي ثم الأزدي من أهل دبا فكان يأخذ صدقات أغنيائهم ويردها إلى فقرائهم وبعث إلى النبي (ﷺ) بفرائض لم يجد لها موضعاً فلما مات رسول الله (ﷺ)ارتدوا ، ياقوت ، مصدر سابق / 2 ، ص 435 .

(30) ياقوت ، مصدر سابق / 1 ، ص 113.

(31) كان ابن أمة الحارث بن كلدة وولد على فراشه أي في داره ولم يكن منسوباً اليه ، الذهبي ، مصدر سابق /11 ، ، ص 154 .

(32) ابن الأثير ، مصدر سابق /3 ، ص 232 .

(33) والده أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي أحد السابقين واسمه مهشم فيما قيل أسلم قبل دخولهم دار الأرقم وهاجر إلى الحبشة مرتين وولد له بها محمد بن أبي حذيفة ، و له سهلة بنت سهيل بن عمرو ، الذهبي ، مصدر سابق /1 ، ص 120.

(34) سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن خزيم بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة ، أمه فكيهة بنت عبيد بن دليم بن حارثة يكنى أبا عبد الله أتى مصر والشام والكوفة ومات بالمدينة ، الواقدي ، محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى ، الجز الثالث ، القاهرة ، دار التحرير ، 1388هـ /1968 م ص 98.

(35) ابن الجوزي ، المنتظم / 5 ، ص 98 .

(36) خربتا ، يعد كور مصر وهو حوالي الاسكندرية وهو الآن خراب لا يعرف ، ياقوت ، مصدر سابق/ 2 ، ص355 .

(37) الطبري ، مصدر سابق / 3 ، ص 65 .

(38) ابن الاثير ، مصدر سابق / 4 ، ص138.

(39) ابن الجوزي ، المنتظم / 5 ، ص92.
(40) الطبري ، مصدر سابق / 3 ، ص 61/68 .
(41) الطبري ، مصدر سابق / 3 ، ص 68 .
(42) ابن كثير ، مصدر سابق / 7 ، ص 239 .
(43) هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيع،كان من أصحاب علي وروى عنه أنه كان يضرب الناس بعد صلاة العصر ، ابن سعد ، مصدر سابق / 1 ، ص239 .
(44) القلقشندى ، أحمد بن علي بن علي بن عبد الله ، صبح الاعشى في صناعة الإنشا ، / 10 ، دار الكتب العالمية ، 1407 هـ / 1987 م ص 10/ 14 .
(45) مدينة على شفير بحر ينتهي إليها بحر قُلزُم (البحر الأحمر) إليها ثم ينعطف إلى ناحية بلاد البجة وليس بها زرع ولا شجر وبينها وبين مصر ثلاثة أيام ، ياقوت ، مصدر سابق / 4 ، ص688 .
(46) ابن كثير ، مصدر سابق / 7 ، ص239 .
(47) الطبري ، مصد سابق /3 ، ص 131 /132 .
(48) المصدر نفسه .
(49) القزويني ، محمد كاظم ، علي من المهد إلى اللحد ، الجزء السابع ، بيروت ، دار احياء التراث العربي ، (بدون تاريخ) ، ص 511 .
(50) ابن سعد ، مصدر سابق /3 ، ص 24.
(51) الطبري ، مصدر سابق / 3 ، ص 149 .
(52) الشهرستاني ، أبو الفتوح محمد بن عبد الكريم ، المِلل والنِحل ، الجزء الأول ، تحقيق سيد كيلاني ، بيروت ، دار المعرفة ، 1395هـ /1975م ، ص 28 .
(53) ابن سعد ، مصدر سابق / 3 ، ص 24.
(54) الحنبلي ، مصدر سابق / 2، ص49
(55) ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن، صفوة الصفوة / 1 ،تحقيق فاموزي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (بدون تاريخ) ، ص 334.
(56) الطبري ، مصدر سابق / 3 ، ص 159/158 .
(57) ابن كثير، مصدر سابق / 7، ص 239 .

النِجّآمَةِ في تراثِ عرب بادية السُودان

أ. إبراهيم محمد محمود الأمين الدلال
باحث

المستخلص:

الإنسان ابن البيئة وأذكي مخلوفات الكوكب السعيد كان ومايزال منذ فجر التاريخ باحثاً عن اسرار هذا الكون الواسع وكانت السماء بثرياتها اللامعة ونجومها البصيرة من اكثر ما اثار فضول الإنسان .فبدأ يتطلع إلى هذه النجوم يقرأ أسرارها ويعطيها اسماء ليقرب معانيها وربما نسبها إلى القداسة والتأثير في الطبيعة .يهدف هذا البحث التأصيل للمعارف الشعبية السودانية حول النجوم وربطها بمصادرها القديمة في الثقافة العربية وغيرها من الثقافات التي تأثر بها السودانيون مثل:الثقافة النوبية القديمة والثقافة الفينيقية . وقد كان التركيز على مجتمعات الريف والبادية لأنها مجتمعات تحافظ على إستمرارية مثل هذه المعارف تفتقد الشعبية ولاتزال توظفها وتعتقد فيها وتنبع اهمية هذا الموضوع من ان المعارف الشعبية ليست ترفاً تراثياً أو موضوعاً شعرياً مربوطاً بالخيال انما هو فعل ذو اثر وذو استمرارية وإن شخصية النجامي هذه /وهو محاسب او مؤقت لحركة الفصول /ذات أثر كبير في مجتمعات الرعات والمزارعين فهو ليس عرافاً ولكنه رجل ذو بصر بالحساب الشمسي الذي تجهلهو تلك المجتمعات ولولا هذا النجامي لهلك الحرث والنسل في تلك المجتمعات.منهج الورقة منهج وصفي وربما نحث فيه إلى التحليل أحياناً .**توصي الورقة** :بالإهتمام بالمعارف الشعبية وتوظيفها وعدم الإستخفاف بهذه المعارف لأنها أعطت ومازالت تعطي في كثير من مجتمعات الريف والبادية.

Abstract:

Farming and pasturing timetable keeper plays a significant role within the communities of cattle herders and farmers alike. He is not a fortune teller but he is rather a person who has got an empirical knowledge of the solar system and its calendar and a deep knowledge of the season and the right times for performing the different farming activities.

Key words: stars , solar system, traditional astrology , folk knowledge, traditional culture, timetable, farming activities

مقدمة:

اعتمد الباحث في بحثه النِجّاَمَةِ في تراث عرب بادية السودان على معايشة حقيقية لهذا التراث ومجالسات طويلة مع مجموعة من النجامين والمشتغلين بالحساب. وأصّل الباحث لمادة النجم والنجامي وعقد مقارنة بين النجم والنجامي في التراث العربي القديم وفي التراث الشعبي.وضح الباحث استخدامات النجوم في الاهتداء عند الأدلاء «الخبراء» الصحراويين واستخدام النجوم في تحديد الفصول والمواسم وأهمية ذلك بالنسبة للرعاة والمزارعين في تحديد التلقيح والزراعة،وخلص البحث إلى أن «النجامي» ليس عرافاً يرجم بالغيب وإنما هو خبير يعتمد على الحساب والتجربة.وعرض البحث إلى خصوبة التراث الشعبي في ما يتعلق بالنجوم في الشعر والأساطير الشعبية. وانتهي الباحث الي أهمية توثيق هذا التراث.

ورد في معجم المعاني الجامع : نجّم فلان راقب النجوم بحسب أوقاتها وسيرها ، نجّم المنجم : ادّعى معرفة الغيب واستطلاعه مطالع النجوم، و النجم : أحد الأجرام السماوية المضيئة بذاتها ومواضعها النسبية في السماء ثابتة ومنها الشمس،و أم النجوم : المجرة بل هي السماء وعلم النجوم : درس أحوال النجوم وطرق سيرها في سبيل ضبط المواقيت والأنواء ([1]) .قال الله في كتابه العزيز :(وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون) ([2]) ،قال ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة : (قال بعض السلف : من أعتقد في هذه النجوم غير ثلاث فقد أخطأ وكذب على الله سبحانه ، إن الله جعلها زينة للسماء ورجوماً للشياطين ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر ، وقوله (قد فصلنا الآيات) بيناها ووضحناها (لقوم يعلمون) أي يعقلون ويعرفون الحق ويجتنبون الباطل([3]) وفي تفسير الطبري: (والله الذي جعل أيها الناس النجوم أدلة في البر والبحر إذا ضللتم الطريق أو تحيرتم فلم تهتدوا فيها ليلاً تستدلون بها على المحجة فتهتدون بها إلى الطريق والمحجة فتسلكونه فتنجون بها من ظلمات ذلك) ، كما قال جل ثناءه : (وعلامات وبالنجم هم يهتدون) .([4]) وورد في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبةً من السحر زاد ما زاد) . قال صاحب عون المعبود : (إن علم الفلك لا يدخل تحت معنى هذا الحديث) ، وقال الخطابي (علم النجوم المنهي عنه هو ما يدل عليه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي لم تقع كمجيء الأمطار وتغير الأسعار) . وروي عن سيدنا عمر في الأثر : (تعلموا من النجوم ما تعرفون به القبلة والطريق ثم أمسكوا) كذا في المرقاة .([5]) ،و أورد مالك في الموطأ حديث رسول الله صلى

الله عليه وسلم عن زيد بن خالد الجهني أنه قال : (صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماءٍ كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال : تدرون ماذا قال ربكم ، قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال قال : أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافرٌ بي فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته ذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب ، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافرٌ بي مؤمنٌ بالكوكب) [6]

قال ابن العربي المالكي : أدخل مالك هذا الحديث في الاستسقاء لوجهين أحدهما أن العرب كانت تنتظر السقيا في الأنواء فقطع صلى الله عليه وسلم هذه العلاقة بين القلوب والكواكب ، الثاني أن الناس أصابهم القحط في زمان عمر فقال للعباس : كم بقي من أنواء الثريا ؟فقال العباس : زعموا أنها تعترض في الأفق سبعاً فما مرت حتى نزل المطر : فأنظر إلى عمر والعباس وقد ذكرا الثريا ونوءها وتوقعا ذلك في وقتها ، ثم من انتظر المطر من الأنواء على أنها فاعلة دون الله فهو كافر ، ومن أعتقد إنها فاعلة بما جعل الله فيها فهو كافر لأنه لا يصح الخلق والأمر إلا لله كما قال : (ألا له الخلق والأمر) ، ومن انتظرها وتوقع المطر فيها على أنها عادة أجراها الله فلا شيء عليه لأن الله أجرى العوائد في السحاب والرياح والأمطار لمعانٍ تترتب في الخلقة وجاءت على نسق العادة .[7]

المقدمة:

يرتبط الإنسان بالطبيعة ارتباطاً عضوياً، فالطبيعة بالنسبة للإنسان ليست مجرد مصدر للماء والغذاء والأكسجين فقط ، ولكنها كل الحياة بعناصرها وتفاصيلها المختلفة. فالفضاء الواسع وقبة السماء بنجومها المتلاصفة تمثل فضاءاً واسعاً للخيال الإنساني، فالنجم البعيد منبع لا ينضب للسحر والخيال الشعبي.وقد أضفى الإنسان منذ القدم القداسة والسحر على النجوم واتخذها بعضهم آلهة مثل الزهرة عشتروت عند الفينيقيين[8] وقد وجدت هذه العقائد السامية القديمة طريقها لكثير من الشعوب في مناطق بعيد عن ارض المنشأ،لنجد الموروث الشعبي السوداني ينسب الخصوبة لكوكب الزهرة كما في العقائد السامية القديمة. وقد لاحظ المنجمون الشعبيون ارتباط النجوم بحركة الزمن والمواسم وجعلوا لكل «عينة» من عين الصيف أو الخريف أو الشتاء نجماً يقابل طلوع ومغيب هذه «العينة»، فالنجامي وإن حاول أن يضفي عليه بعضهم شئ من القداسة فهو لا يعدو كونه «محاسباً» ملم بالحساب الشمسي في مجتمع تغلب عليه الأمية والجهل بعلم الحساب ويتخذ من النظام

القمري وسيلة لحساب الشهور والأعوام. وقد استخدم السودانيون كغيرهم من الشعوب النجوم في تحديد الاتجاهات وفي حساب الأيام والشهور ، وربطوا بين حركة هذه النجوم والفصول وحددوا بدقة مطالع الصيف والشتاء والخريف. ووجدوا أن لكل نجم من هذه النجوم مدة ثلاثة عشر يوماً موزعة على فصول السنة وسموا هذه المدة عِينة .ولقد أورد عون الشريف قاسم في قاموس اللهجة العامية : (عِينة : منازل نزول الأمطار وهذه المنازل هي الضراع ، النترة ، الطرفة ، الجبهة ، الخرتان (لعله يقصد الخرصان) ، الصرفة ، العواء ، السماك) ولعل عون رحمه الله لم يكن دقيقاً في قوله منازل الأمطار لأن للشتاء عِينه وللصيف عِينه أيضاً وكذلك الدرت ، فهو هنا لا يذكر إلا عِين الخريف .

كما أورد دكتور عون في قاموس العامية : (العَيْن : من السحاب ما أقبل من ناحية القبلة وعن يمينها وهي قبلة العراق ، يقال هذا مطر العين ولا يقال مطرنا بالعين ، وقال ثعلب : إذا كان المطر من ناحية القبلة فهو مطر العين ، والعين اسم لما عن يمين العراق) ، وكانت العرب تقول : إذا نشأت السحاب من قبل العين فإنها لا تكاد تخلف ، والعين مطر أيام لا يقلع وقيل هو المطر يدوم خمسة أيام أو أكثر لا يقلع .([9])

قال الراعي :

وأنّاء حيٌّ تحت عين مطيرة ** عظام البيوت ينزلون الروابيا

ومطر السودان أيضاً (قِبلي) يأتي من ناحية القبلة ويأتي من الشمال نادراً ، قال عبد الوهاب السميتاوي :

أم طوق شيكة الببيع ويمرك

أدغس مايقك القبلي المروق فرِّك

وعِين المطر عبارة عن نجوم وهذه النجوم في مجموعها تفاصيل لنجم الأسد ، فالذراع يقابل الضراع عند السودانيين هو ذراع الأسد ، والنثرة (النترة) هي نثرة أو عطاس الأسد ، والجبهة والطرفة هما بنفس التسمية العربية القديمة هما جبهة الأسد والطرفة عينه وهكذا إلى العواء أي عواء الأسد ([10])، وتطابق المسميات السودانية المسميات العربية ولا تختلف عنها كثيراً وتتبنى

صــورة الأســد كمــا تبناهــا العــرب الأقدمــون .

قال المعري ([11])هو يقابل بين أسد النجوم والأسد الحقيقي قائلًا :

وتسوف رائحة الخزامى أينقي ** فتقودها ذللاً بغير خزائم

ويزروني أسد العرين ** وقد همى أسد النجوم على الربا بنمائم

غرثان يفترس الظباء ** وساجم يرعي الظباء بكل نوء ساجم

ويقول الشاعر إبراهيم الدلال([12]) :

عينة نترة الأسد الرعدها بِكُر

أم برقاً سرى ولفض السحاب الغر

وقال العاوصيدي :

طلقة من درت تتربا

حبست الخلفة من مطر الضراع ما كبا

والضراع هو الذراع ، قال المعري : سقتها الذراع الضيغمية جهدها[13]

ولا يخرج عن نجوم الأسد في منازل المطر إلا نجوم السماك وعريج وسهيل والبطين والثريا وأبو ريا والهقعة والهنعة ، فالسماك المقصود هو السماك الرامح ، وربما عده نجامو السودان كآخر عِين المطر فتراهم يقولون : (السماك يا سما أمسك ماك) [14]، وكانت العرب ترى في مغيبه وطلوعه إيذاناً بانسلاخ الحر ودخول البرد فهم يقولون : (إذا طلع السماك قل على الماء اللكاك وجمد السمن في العكاك وأمن الحرث من الهلاك) ، يقول المعري يصف مكاناً :

به ركز الرمحَ السماكُ وأفرغت ** عرى الفرق من مهمى الثريا بهمعِ

وأيضاً البطين (البطيني) والثريا (الترية) والدبران (أبو ريا) والهقعة والهنعة (العصي) لا تتبع لمجموعة الأسد ويعدها نجامو السودان من عين الصيف. أما عريج فهي من بنات العنقريب (نجم الدب) ، وسهيل هو النجم اليماني المعروف ، ويقول نجامو السودان : (سهيل الما وراها سيل) فهم هنا يجعلونها وراء السماك ولقد رأيناهم يقولون : (السماك يا سماء أمسك ماك).

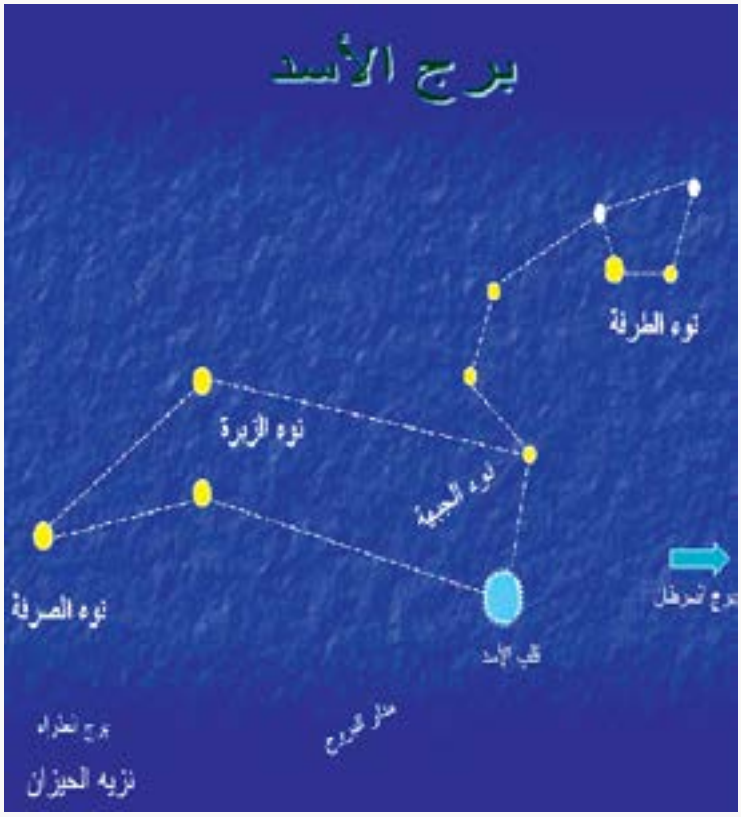

(نوء الطرفة – المصدر الجمعية القطرية للفلك)

والترية تكون في شدة الغيظ والحر ويسمون ذلك (تعاصير الترية).

يقول الشاعر :

زانوق يا وليد زانوق
تعاصير الترية اللا سحاب لا بروق
ولا نيلاً عديل فوقو القبيلة تسوق

ويعتقدون أن عينة الترية إذا نزل فيها مطر خفيف (بلّ صوف الأرنب فإنها تطلع فوق الغدير والخضير) ، وإذا تأخر المطر وامتد فصل الصيف حتى دخول العصي وهما الهقعة والهنعة ويسميهما نجامة السودان (العصا الفسلة والعصا الجيدة وربما قالوا العصا العطشانة والعصا الروياني) إذا تأخر المطر عن عينتي العصي قالوا (مطراً عقب العصي قِسي) 1[15]

النجامي :

هو الشخص الذي يشتغل بحساب الفصول ويهتم بمطالع النجوم فهو يقترب ويبتعد عن الصورة النمطية للمنجم الذي يرمز للعرافة وقراءة

الغيب ، فالمنجم باحث ميتافيزيقي وصاحب أدوات سرية لمعرفة الغيب كما صوره القدماء ، قال المعري :

ومرآة المنجم وهي صغرى ** أرته كل عامرةٍ وقفرِ2[16]

فمرآته ليست تلسكوباً يطالع به النجوم والمجرات وإنما (مندلاً) يخاطب فيه الأرواح والعوالم اللا مرئية .

أما النجامي السوداني فهو شخص عادي يعرف الحساب الشمسي وسط أناس أميين لا يعرفون الحساب وإن عرفوه فحسابهم قمري والسنة القمرية متحركة والسنة الشمسية ثابتة ، لذلك فالنجامي السوداني يعطي للرعاة والمزارعين حساباً ثابتاً ودقيقاً يستخدمونه في تلقيح الأغنام لكي لا تلد في فصل الجفاف فتهلك ، ولولا هؤلاء الخبراء التقليدون لهلك الحرث والنسل ، ولا يزال هؤلاء الخبراء يضطلعون بمهامهم ويقدمون نصائحهم لقطاع يعتبر المصدر الأول للعملات الصعبة في السودان قبل إنتاج البترول وبعد انفصال الجنوب .

وقد عمد علماء السودان إلى إبعاد النجامي السوداني عن ادعاء الغيب والاستمطار بالأنواء والنجوم فقال حكيمهم العبيد ودبدر : (كان جانا نازل ما لينا بالمنازل) أي إذا أنزل الله علينا الغيث فلن نسأل في أي منزل أو عينة نزل .

واشتهر الجهيماب من الكواهلة بمعرفة حساب النجوم والعِين واشتهر البراره ناس فكي والبراره ناس خير من الكبابيش بمعرفة العين والمنازل ، واشتهر أمحمد ود غبوش البُغدادي من دار حامد من أهل سيالة ود البولاد بالتنجيم ومعرفة الحساب ، واشتهر فضل الله سعيد ريحان من أهالي الشيخ صديق من بحر أبيض ، واشتهر ود بدِّي من دار كبير وكان يقول : (السنة دي في نجوم معادي) أي إنها أخلفت في العام الماضي وسيكون مطرها غزيراً هذا العام ، وأصل المعنى مأخوذ من قولهم (شاه معدية وشياه معادي) والشاه إذا عدت أو (اتخطرت) أي إنها لم تلد في عامها كان ذلك أدعى إلى سمنها وفي العام القادم تلد توأماً .

وللنجامي وسط المجتمع قيمة اجتماعية كبيرة ، فهو غالباً يكون من الفقهاء أو من أحفاد الفقهاء ليلم بعلم الحساب والسقط وتحديد الطوالع ، وربما كوفأ النجامي بـ (أمداد) من العيش من كل حقل بعد نجاح موسم الحصاد .

ويكون تحديد موسم بذر الزراعة قبل منتصف شهر يوليو لأن دخول عينة النترة بعد هذا التأريخ يوافق ظهور الحشرات وقدوم الطيور

والفـئران (الباحـت) ممـا يقلـل فـرص نجـاح الزراعـة ، أمـا (فكـة الغنـم) أي تلقيحهـا يكـون في أواخـر شـهر فبرايـر لتوافـق ولادة صغارهـا أواخـر شـهر يوليـو وذلـك في عـز الخريـف لكـي ترضـع صغارهـا أمـا إذا أنتجـت في شـهر يونيـو مثـلاً والأرض جافـة فـإن الغنـم لا ترضـع صغارهـا ممـا يعـرض القطيـع كلـه للتلـف 1[17].

هنالـك اعتقـاد بـأن النجـوم لهـا علاقـة بالحـظ يسـمونه حسـن الطالـع وربمـا تشـاءموا ببعـض المطالـع والأوقـات وإذا أرادوا عقـد الـزواج ذهبـوا إلى الفقـير (الفكـي) الـذي لـه إلمـام بالمطالـع والقرانـات ليحـدد لهـم (المُنـزل) فـإذا صـادف اليـوم مثـلاً (قـران الزهـرة والقمـر) عـدوا ذلـك فـألاً حسـناً وقامـوا بعقـد الـزواج . فـإذا وُلـد المولـود فجـراً وصـادف ميـلاده (طلعـة النجمـة) أي (نجمـة الصبـاح) فـإن ذلـك يعـد فـألاً حسـناً ويعتقـدون أن الـذي يولـد في ذلـك الوقـت يكـون نجيبـاً شـديد النشـاط ناجحـاً في كل أمـر ويقولـون فـلان مولـود نجمـة وربمـا قالـوا فـلان نجمـة ، وعكسـه (ولـدة مغـارب) أي أن الـذي يولـد في وقـت المغـرب قبـل أن تطلـع النجـوم يكـون غبيـاً كسـولاً ، فـإذا قالـوا فـلان نجمتـو طالعـة يعنـي أن حظه سـعيد وأيامـه مقبلـة وإذا قالـوا نجمتـو غابـت أو غطسـت فـإن ذلـك يعنـي انعـكاس الحظ وإدبـار الأيـام 2[18]، قـال الشـاعر :

نجمي الغرّب للمغيب يا جباره
قلع كلو من قدام وجاتني بشاره

قال آخر يصف جمله بحسن الطالع والحظ :

يا جنين الفقسي
حظك نجمو طالع ماهو واقع عكسي

ومهمة النجامي المركزية هي تحديد تواريخ العين والمنازل في كل الفصول .

وأنـا هنـا أقـدم بعـض القوائـم التـي تحـدد ترتيـب العـين في كل الفصـول .والقائمـة الاولى أخـذت عـن النجامـي فضـل اللـه سـعيد ريحـان وأسـميها قائمـة ود ريحـان1[19].

تتلمـذ ود ريحـان في معرفـة التنجيـم عـلى ود أبريـش الجامرابـي مـن سـكان المضحـى بريفـي أم درمـان الجنوبـي ، وأخـذ مـن أحمـد البطحانـي مـن سـكان أم مندرابـه .

يقول ود ريحان : انصرف المطر يوم 21 /10 بعريج آخر عينة في الخريف .

عين الدرت :

1. الغفر
2. النعام

3. العقرب ، والعقرب فيها 3 عين (-1 الشبش «كرعين العقرب» -2 الإكليل «قلب العقرب» ، -3 الشوله «ضنب العقرب"
4. الصقر الطائر

عين الشتاء :

1. الصقر المكتف
2. سعد سابح الحما الكلب النابح
3. سعد السعود يشيل الجمره ويخلي العود
4. سعد بلى المي حلى والعيش غلى ، تقول العرب القديمة : «طاب الماء وحلى "
5. الفرق الأول
6. الفرق الأخير
7. الحوت

عين الصيف :

1. النطح
2. البطين
3. التريه
4. أبو ريه
5. العصاه العطشانه
6. العصاه الرويانه
7. الضراع «يدخل يوم 10 /7 : إن نتج هول(يعني أن نجح يكون ل) الخريف وكان بطل تابع(يعني أن فشل يتبع) الصيف"

عين الخريف :

1. النترة « 24 / 7"
2. الرمشة «7 /8 عين الأسد"
3. الجبهة «20 /8"
4. الطرفة «أضان الأسد 3 /9"
5. الخيرسان «26 /9 رقبة الأسد"
6. العواء «7 /10 سدر الأسد"
7. السماك «20 /10 السماك وعريج عينة واحدة « مخاريق الأسد" "

يقول ود ريحان : (العينة مدتها 13 يوم إلا الضراع زائد يوم لذلك سموه الضراع) وحاصل ضرب 13 × 28 تساوي 364 + يوم الضراع الزائد تساوي 365 .

نلاحظ في قائمة ود ريحان أن معظم الأسماء تكاد تتطابق مع الأسماء العربية القديمة،كما نلاحظ أنه عمل تداخلاً وخلطاً في عين الدرت والشتاء. أما عين الصيف والخريف فقد اعتمد فيها الدقة والضبط وهي الأهم لتعلقها بحياة الناس والزراعة والقطيع . ويعتبر ود ريحان عريج وهي إحدى بنات العنقريب والسماك عينة واحدة ويسميها مخاريق الأسد ، (وتعلمت من والدي عليه رحمة الله)1[20] أن لكل ساعة من الليل مطلع من النجوم ولكل مطلع شاهد من النجوم أيضاً وأن شاهد السماك الرامح هو بنت العنقريب «عريج» ورغم أن السماك يتحرك ناحية الغرب من وسط السماء وعريج في أقصى الشمال إلا أنهما يسيران في خط متوازي ولا يفترقان .

اما القائمة الثانية والتي نعرض لها فهي قائمة ود شوراني وتبدأ بعين الصيف : [212]

1. النطح
2. البطين
3. الترية
4. الدبران « أبو ريه ”
5. الهكعة « العصا الجيدة ”
6. الهنعة « العصا الفسلة ”
7. الضراع
8. النترة
9. الطرفة
10. الجبهة
11. الخيرسان
12. الصرفة
13. العواء
14. السماك
15. الغفر
16. الزبنان
17. الإكليل
18. القلب
19. الشوله
20. النعايم
21. البلدة
22. سعد ذابح

23. سعد بلع
24. سعد السعود
25. سعد الأخبية
26. الفرق المقدم
27. الفرق المؤخر

ونلاحظ الاختلاف بين قائمة ود شوراني وقائمة ود ريحان في :أن ود ريحان قدم البطين على الثريا، ويورد ود شوراني الاسم العربي « الدبران « وهو أبرية عند السودانيين ، ويورد الهنعة والهكعة ويوردها ود ريحان بالاسم السوداني « العصا العطشانة والعصا الرويانة»، وتختلف القائمتان في إيراد ود ريحان «الرمشة» وإيراد ود شوراني «الطرفة» بدلاً عنها ولا يورد ود شوراني «الرمشة» أصلاً وقد أورد الصرفة بعد الخيرسان وذلك لم يرد في قائمة ود ريحان ، وقد أورد ود ريحان سعد السعود قبل سعد بلع ولم يورد سعد الأخبية . كما نلاحظ أن قائمة ود شوراني سقطت منها عينة وهي إن كانت أضبط من قائمة ود ريحان في ترتيب الفصول إلا أن قائمة ود ريحان تعطي عدد أيام السنة بدقة وهي حاصل ضرب 28×13+1 وهو اليوم الزائد في الضراع كما ذكر ود ريحان وقائمة ود شوراني أخذتها من نظمه للعين والمطالع .

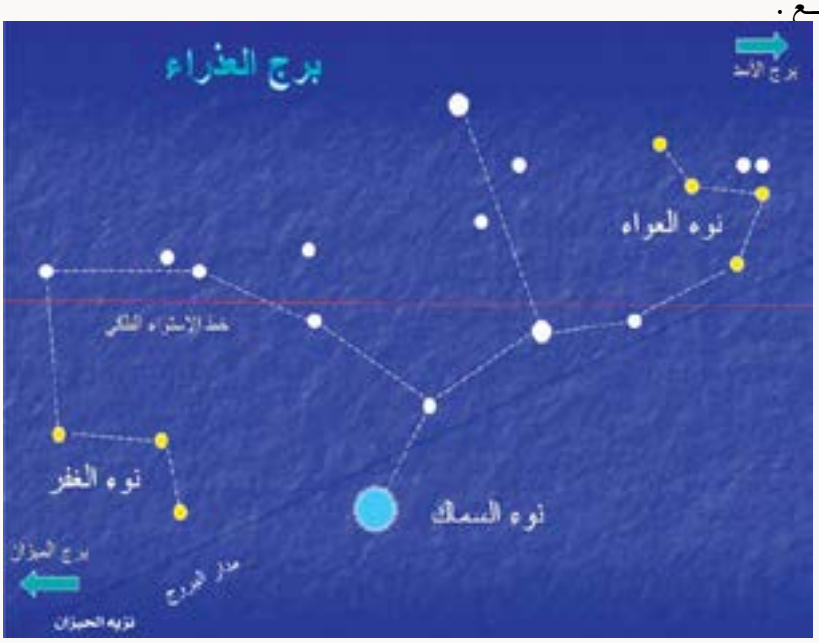

(نوء العواء والسماك – المصدر الجمعية القطرية للفلك)

ولتكتمل المقارنة نورد قائمة ثالثة وهي قائمة عون الشريف قاسم لعين الخريف حسب ما ورد في مؤلفه القيم «قاموس العامية 1[22]:

1 – الضراع «12 يوليو"
2 – النترة «26 يوليو"
3 – الطرفة «9 أغسطس "
4 – الجبهة «23 أغسطس"
5 – الخرتان «4 سبتمبر ، لعله يقصد الخرصان"
6 – الصرفة «17 سبتمبر"
7 – العواء «30 سبتمبر"
8 – السماك «13 أكتوبر"

ونلاحظ اختلاف قائمة عون عن قائمة ود ريحان في التواريخ كلية وإن كان الاختلاف يكون طفيفاً في حدود اليومين أحياناً ، أما في الترتيب فقد اختلفا في الطرفة حيث يوردها عون قبل الجبهة ويوردها ود ريحان بعد الجبهة ، وقد أورد ود شوراني والبروف عون «الصرفة» التي لم يوردها ود ريحان إطلاقاً .

الاهتداء بالنجوم :

منذ القدم أدرك الإنسان قيمة الاهتداء بالنجوم، خاصةً في السفر عبر البحار أو عبر الصحارى والمفازات المقفرة التي لا أعلام فيها ولا علامات . وقد عرف السودانيون كما عرف الناس من قديم الزمان أهمية نجم القطب (الجدي) في تحديد الاتجاهات ، فالجدي هو نجم القطب الشمالي وهو قبلة البوصلة ، وقد استخدم الأدلاء والخبراء السودانيون نجم الجدي في سفرهم إلى مصر وليبيا عبر الصحراء الكبرى. وميزة الجدي في تحديد الاتجاهات التي لا توجد في غيره أنه ثابت لا يتحرك ولا يغيب ، ويقابله جنوباً سهيل اليماني وهو معروف عند السودانيين بسهيل (بكسر السين ويؤنثونه أحياناً) ويجعلونه من منازل المطر فيقولون : (سهيل الما وراها سيل) ولا يعتمدون عليه كثيراً في الاتجاهات لأنهم يقولون (سهيل كذاب) ، لأنه يتحرك ويغيب ، ويحتقر السودانيون سهيلاً لضآلته ويقولون في أمثالهم (في النجم كلو ما عاجبك إلا سهيل) . ويقول الخبراء للذي يسافر إلى مصر عبر الصحراء عن طريق درب الأربعين (يصُر الجدي في عينو اللسار) أي يضع نجم الجدي مقابل عينه اليسرى وينحرف عنه قليلاً ناحية اليمين ، وللذي يقصد ليبيا (يصر الجدي في عينو اللمين) أي يجعل الجدي مقابل عينه اليمنى وينحرف ناحية اليسار[231] ، قال ود قدال السراجابي :

(نجمة الشمال،نقطة التقاء الخطوط المتقطعة – المصدر جمعية الفلك القطرية)

دي جقله التجارها بسافروا في الطياره
كلو مشيها فوق عدل الجدي ولا يساره

واضح أن الشاعر يقصد السفر إلى ليبيا لأنه يتياسر عن نجم الجدي . وربما أشارت نجوم مثل النعام والخيل إلى اتجاه الجنوب وربما أشار نجم الثريا إلى القبلة لأنهم يقولون إنها تطلع من شمال الكعبة . وبنات نعش تشير إلى الشمال ، و(الدُرع) تدور حول الجدي والتسمية تشير إلى أنهن ظباء أمات الجدي يطفن حوله .

النجوم في الخيال الشعبي :

علاقة الإنسان بالكون والطبيعة علاقة قديمة ومتجددة فالإنسان إن كان يقرأ احيانا كتاب الله المسطور فهو دائم النظر إلى كتاب الله المنظور . فالشمس هذا النجم الضخم تعلق به الإنسان إلى درجة التقديس والعبادة ، فحركة الشمس هي التي ترسم مواقيت الليل والنهار ومع دورانها تدور الأيام والفصول ، ويسميها أهل السودان (البخيتة) وفي السفر لا يستأنفون السير إلا إذا (طلعت البخيتة) ، وترتبط حركة النشاط اليومي مثل الزراعة والرعي بحركة الشمس ، ففي حش الزراعة الضحوه والتهجير والعصرية ، وفي الرعي المضحاية والمرواح والسربة ، وحركة الناس وتوقيتهم ترتبط بالشروق والغروب ، قال الشاعر :

من الغيبه تردح لي حَمار الفجري
قدر ما ليك بشوف الأرض مباریاك تجري1[24]

وقال آخر :

الشم لهلبت للغيبي
أني الدير جارو وات بتلعب الشقيليبي

وقال عبد الوهاب السميتاوي واصفاً الشمس :

كان ما المولى رفع أقدامها ما خطاهن
بتتكي الأرض على شق والجبال تتهاهن

وكما نظروا إلى الشمس نظروا إلى تابعها القمر وتغزلوا في جماله ، قال عبد الوهاب :

قمر السبعتين الدور
شفتو طريت حبيبي الشكلو ما بصور

فالقمر عندهم من مصادر النور والجمال ، قال الساعور :

ود التوم علي يا القلوبكن دور
الساري البهرس القوز أبو عجور
قمر السبعتين النور يلاقي النور[251]

يقصد قمر (14) الذي يلاقي نوره نور الشمس ، وضوء القمر يساعد المسافرين على السرى ليلاً ، قال العقدة ود حريرين واصفاً سفر القوافل في الصحراء ليلاً :

البزر الفي الرواكيب طلقوا اللرياح
برية أم ماركه ما بضوقوها فوق شوباح
بجيها الليل تساريبو القمر صباح
بتتلفتبو كيف العندو شيتاً راح

ونظروا نظرة في النجوم فرأوا العنقريب وحوله بناته (بنات نعش) فتخيلوه رجلاً ميتاً مسجى وبناته من حوله يندبنه ، قال المتنبئ :

كأن بنات نعش في دجاها ** خرائد سافرات في حداد

قال الحردلو :

ستات اللكيك البي العطر مرشوش
لا جادن علي ولا لمن علي المنعوش

يقصد بنات العنقريب ، وبنات العنقريب منهن أم وليد وعريج والأخرى عاقر1[26] والوليد هو نجم السهى ، قال جميل :

ومن بات طول الليل يرعى السهى سهى

وأطلقوا على العنقريب (ناقة حاشر) ويسميه البدو في موريتانيا ناقة صالح ، قال ود بارك البري يصف نجم العنقريب :

ناقة حاشر النهروها قطعت قيدها
يا باروها يا خلوها تمشي وحيدها2[27]

فقد تخيلوها ناقة هاربة قطعت قيدها وشردت في البرية الواسعة ، ووصفوا الدبران (أبو رية) برجل فقير يسوق قطيعاً صغيراً من المعيز ويذهب ليتزوج الثريا وهي إمرأة ثرية ، قالت الشاعرة :

مو مضراب لي تريه
فقري ومعزاه شويه

ويمتد الخيال الشعبي في فضاء الكون الشاسع حتى ينقلب حسيراً في خيالات ساذجة لا تسمن ولا تغني من جوع ، فالعقرب والثريا ضرتان لا تلتقيان في السماء في وقت واحد أبد الدهر ، والنعام والخيل في سباق أبدي ، والإنسان يدجن هذه المخلوقات السماوية البعيدة بخياله الأرضي المحدود ، يقول الحردلو :

طلع نجم الكريه وادودل العنكوش
وبانينلو حافلات الشوش
ستات اللكيك البي العطر مرشوش
لا جادن علي ولا لمن علي المنعوش

نجم الكريه : هو نجم العقرب ،العنكوش : الثريا، وحافلات الشوش : الخيل، وستات اللكيك : بنات نعش ،المنعوش

العنقريب. والعقرب من نجوم البرد يظهر منها الإكليل والقلب والذنب (الشولاء) ، يقول أهل السودان (سقط الشولي بحمي العجوز البولي) ، وقال ود ماسك الخور الهواري :

أصلو العاني بردات التعيسه عدوهو
كمان يا بنيه ما برقد بلا يغطوهو

وكوكب المشتري هو (السواقه) أي (النجمة) التي تسوق الليل حتى الصباح ، قال الشاعر :

السواقه نجمة الليل
بعيد من النعام والخيل

وللزهرة مكانة متميزة عند النجامين السودانيين وفي الثقافة الشعبية السودانية عموماً، فهي ليست مصدراً للجمال والبريق فقط بل هي رمز للخصوبة والإمراع ، فالحر لا يبرد والندى لا يسيل على النبات في غياب الزهرة ، فالزهرة (كان طلعت من غرب المطمورة كرب وكان طلعت من صباح المطمورة باباح)1[28] فهم يعتقدون فيها الخصوبة ولعل في ذلك عقابيل وآثار لمعتقدات قديمة موروثة من الكوشيين أو حتى من عند الفينيقيين الذين يعدونها إلهاً للخصوبة.2[29] ويقول النجامة السودانيون إن الزهرة إذا غابت تطلع بعد تسعة أيام أو بعد تسعين يوماً أو بعد تسع سنوات ، ويقول النجامي أمحمد ود

غبوش البغدادي : (كان طلعت الزهرة من صباح دي سنة نوارة وعِرق ، الناس يزرعوا البطيخ والفول لكن الدخن ما بنجح) . وحينما يطول غياب الزهرة وتظهر فجأة في الأفق الغربي يفرح أهل البادية والمزارعون ويذبحون الذبائح ويضربون السلاح ابتهاجاً بقدوم الخصب والإمراع . ويطلق أهل السودان على الزهرة (نجمة هلاله) وإذا قالوا (النجمة) فإنهم لا يقصدون إلا الزهرة مثل ما يقول أهل اللغة إذا قيل الكتاب فهو كتاب سبويه . ولارتباط الزهرة بهلاله أو بني هلال قصة تروى ضمن المرويات الشعبية السودانية ، وقد قيل إن بني هلال كانوا أثرياء جداً فأصابتهم سنون الجدب والجفاف واختفت الزهرة تسعة أعوام ولم ينزل المطر ، وكانوا يرفعون الريشة في الجو فلا تتحرك فنفقت مواشيهم وكادوا أن يفنوا عن آخرهم وكانوا يقولون: (كان لقينا الكيل بالكيل ما كان رحنا بالميل) أي إذا وجدنا كيل الذرة بكيل الذهب مناجزةً لما هلكنا .3[30]

(الزهرة-المصدر:جمعية الفلك القطرية)

قــال ود الأطــرش الــبري مشــبهاً محبوبتــه بنجمــة هلالــه الزهــرة وفي ذلــك ظــلال لرمزيــة الخصوبــة التــي تمثلهــا الزهــرة قــال :

كفل اللتبهبهت وأتربت
مالها الليلي كسرت من ضمانا وغبت
وينها الظاهرة كيف نجمة هلاله الشبت
لامه فضيلها ما نهروها قالوا انسبت

وقال إبراهيم الكباشي :

وين الوجهو كيف كوكب هلاله الشارق
وين العنقو دقالو السنوسي مطارق
علي اللماتو بي دو السمير بتسارق
يا ليتو الشباب يرجع علي ويفارق

ولما كان الشعر مادته الخيال والخيال لا يرضى بما دون النجوم وربما تجاوزها ، فالشعراء حاموا حول النجوم وسرحوا في فضاءات بعيدة وسبق أن أشرنا إلى دور الخيال الشعبي في رسم لوحات متعددة النجوم ولعل الشعر هو أفضل ما يلون هذه اللوحات الغارقة في الخيال فحركة النجوم تحرك خيال الشعراء ، يقول أحدهم :

نجم الليل اللزارق
طراني الولوف فارق

ويشبه الآخر محبوبته بالسواقه (المشتري) وينعت الأخريات بـ (النعام والخيل) يقول :

السواقه نجمة الليل
بعيد من النعام والخيل

وها هو الشاعر عبد الله ود شوراني أعظم من كتب شعر المسادير، وهو يتنقل بين أم شديدة والقضارف وخشم القربة نراه يتنقل بين مواقع النجوم في وصف سردي أقرب للمسدار، ويربط بين النجم والمحبوبة كما كان يربط بين المحبوبة والجمل وهو ينظم بإحكام منازل عِين الصيف والخريف والشتاء يقول1[31] :

غَابْ نَجْم النَّطِحْ والحَرْ علينا اشْتَدا
ضَيَّقْنَا وقِصِرْ ليلُه ونِهَارُه امْتَـــــــدا
نَظِرة المِنو لِي القَانُون بِقت اتَّحدى
فَتَحَتْ عِندِي مَنطِقْة الغُنَي الْانْسَدا
شَالْ بَرْق البِطين رَقَصَنْ دَبَادْبُه ورشَّو
وِينْ النايرة يا خِلاَّيْ مِرايةْ وَشُـــــــــــــو
عَاشِقِي العِندُو حَقْن المُويَة ضَايِق خَشُـــــو
سَهْرَان فَاقْدو بِي عِلَّيقُو لَيْ وغَشُـــــو

**

لِي زَنْقْ التَّريَا الَحرَّو أَزَّعَج وُضَيـــَّق
وينْ النَّادِي وَاصْفر وسِيد وِشَاماَ زَيَّـــق
ذُوقُو اللِّي أَمل دُنْياَ وْكتَير ما فَيَّـــق
خَرَّتْ مُقْلَة القلَع الرُّسَانَة وْهيَّـــق

**

رِيدَّها الجاب لَهاَ الدَّبَران بِريقاَ لاَمِعْ
مَاَ فَيَّقني اَفكر فِي مَعَاش وُمَطَامِـــعْ
سِتْ قافْيةْ غُنايْ الفُوقَها طَارْبَ السَّامِعْ
قَلَّتْ صَبْرِي شَالَت قَلبي قُول يا جَامِعْ

**

بَرْق الهَكْعَه رَفَّ وْلاَحْ وُفَكَّ رِياحُو
ذَكَّرْنِي البِفُوق دَهَبْ اَلَبراتِي سَمَاحُو
الَخَلاَّنِي اِقيم اللَّيل مِلاَقِي صَبَاحُو
بَعَدْ الشَّيبْ خَفِيف الرُوح جَرَحنِي سْلاَحُو

**

الهَنْعه امْ هَبَابِبْ قَام سِحَابَها مْهدَّرْ
هَوَاها البَارِد اصبح للسَّخانَة مْفَدَّرْ
وينْ دُرْ جَوهَر الحَضَرِي الصُّعُوبتُو تكَدَّرْ
مَمنُوع ما سِهلْ لِتجَارْتو كُلَّ مُسَدَّرْ

**

دِعَاشْ بَرْق الضُرَاع الفِي السَّحابَه بْـلاَوِي
جَلبْ لَيْ رايَحَه مِن اللِي أَذَايْ بِتْـــــدَاوِي
كان ما الحُبْ صَعَب مِن الكُبَار وبَـــلاَوِي
ما فِيش دَاعِي بَعَد الشِيب أكون لها راوي

**

نَجْم النَّترةَ فِي شَفَق الحَمَرَات غَـزَّا
وِينْ الشَّارْفَه لِي بَرَّاق سِحَابُو الرَزَّا
جِنيبةَ الفارِس الفُوق المَشَمش هَزَّا
فُرْقَها مُرْ وَدَّرْ من لِسانِي اللَّـذَّه

**

ظَمْيَانِين- وُوَابْلَ الطّرْفه فُوقنا يِهَطلْ

مِن الخَلاّ كُلّ عَمَلنا صَار مُتعطـــــلْ
سِيْد تُوه الصِباَ اللِي غُنَاهُ مابِنبطلْ
رَايُو مَعَاهُ يشفِي أَلَمْنا وَالـــلا يْكَتلْ

**

الجَبْهَة ام سَوَارِي سِحَابَها بَيّتْ مَالِي
بَرْقو الرَفا ذَكَّرنِي الوَضِيبَها مَخَالِي
فَرِيدَة عَصْرها وْمَلْكَةْ دَهَرْنا الحَالِي
لُونَها جَواهِر الدُرْ المَزبَـــــنْ وغَالِي

**

بَرْق الخِيْرصَان الفِي السَحَابه بْشَلِعْ
اسْهَر نُومِي زِيف رُهْبُو البِيبِدِي مْقلَّعْ
السَبَب المِحَرك نَارْ قُلُوبنا تْوَلَّعْ
سَمْحا ماشي بِي تُوب الدِّلع مُتْدَلعْ

**

بَرْق الّصْرفَه شَالْ تِحْتَ السّحابَة وخَتّ
ذَكّرني لِيْ مَرَادتا لَيْ أَبَتْ تَتْغـــــــــــــتّى
ظَبْيَ البِى الجَزُو العَسّنْ سَدُوهِن شَتىّ
دِكْتُور عِلَتي اللي غيرهُ ما بْتَنْفَتـــــــــــّى

هَوَا نَفَس العِوَا الَبَراقُو رَعَدُو يْصَيِحْ
ذَكَّرني البِقْدِل وْفِي مَشِيهُ بِمَيـــــــــــحْ
يِشُوف رايُو الفَتَقَ جَرْحي الْ اكان مُقَيحْ
يِحْلم ولا يِكْتُل مَرَّه وَاحْدَه يَرَيِـــــحْ

**

فِي آخر السّماك وَدْ عِيني زَاد لُجْلِيجو
وَالاهَ الشتاَ وُعقبْ الخَرِيفَ بِي عريجُو
فَاقِد لَعْبَةْ المَرِيُود وْحَالِي لْهِيجُو
سيفُو الحَاد حَيَاتي خُتُورَة مِن دُهيجُو
دَخَل نَفَس الَغَفَرْ سَارَقْ نَسِيمْ وَهَبيّبْ
جَاي يَعوّر الجَرِح القِبيل مُو طَيبْ
لَجّت عِيني حَار بَيْ الدّليل يا مصيّبْ
مِن ألْأدعَجْ الفُوق رِيدُه أَصْحى واغيّب

**

الزبنان دخل والقلِب طِرى المعشوقه
فمَّها نيلة المذرا وسنـــــــــــاها بروقه
بـِت خيل القسيم أم ميمنـــــــــاً مطلوقه
عاجباني ونغمها دُقاق وجالـــي نشوقه

**

الإكليل دخـــــــــــل شـنـبو وأتى كياقِيهو
ذكـَّر قلبـــي أُنس الموضِعو متاقيهو
السبب المِخلي نفوسنا داخلات فيهو
زوقو كتير موفـِّر والجمال حاويهو

**

قلب العقرب الآن غـــــــاب وفكَّ نسايم
ذكـَّرني الغرامو مـــــعاي أُمورو جسايم
غفر العاشقو قايـــــم الليل سـُقـُد مو نايم
لابس حربي واقف ســنجه مانع الحايم

**

صقط الشولة نفَّ وســــــاق وكيـَّر فـُوفو
ذكـَّر قلبي أُنس الروبتو عـــــــامته كتوفو
الحامينا دون الحـــــــــــــي عملنا نشوفو
أدعج وريقو عسلاً صافــي حالي رشوفو

**

يا خلـِّي النعايم زيف صقوتن سايق
ذكـَّر قلبي أُنس الراقي فــاهم ورايق
بي لهجو المعرجن وللمجالس شايق
وضِّح سري للمابعرفــو مني حقايق

**

بعد رُقنا وعقلنا ونـُمنـــــــــا واستهدينه
عقم البلدة فكـَّت زيف صِقــوطا علينه
الليله البتشفي سقمنـــــــــــا وينا ووينه
جدية صِي ومـُهرة نيم ولـَبـَخ وجنينه

**

دخل سعدو ذابح وسحابة أم بشاره

جابلو غبار وصبح مقلتي سهاره
حبوب الجواهر القافلين مباعه تجاره
ما خلت لينا وكتاً لاكتساب وعماره

**

جاني سعد بلع شال من عيوني رقادي
صقطو أسهرني ذكر عقلي عهداً ماضي
وصف اللريل الما عشم الصيادي
في ست ريدي دكتورة علاج أمراضي

**

غاب سعد السعود والقبلة فكت ريحه
فتق الآن جرح القلب بعد شال قيحه
لي تعبي وعذاب روحي العليها نويحه
لفّح توبو رسم الحنه والتسريحه

**

سعد الأخبيه الآن داير استعدادو
أسهر نوم عيوني ودمّا جرحي وزادو
الخلاني أعرف الحق وأفك مشهادو
ردفو موحلو وديسو المسرح قادو

**

الفرق المقدم عده موسمو وفات
فرشوت عاقبو تاني أسهرنا بالصقات
لبس النفسو عاجبا وسرح الموجات
لبه ودبله ساعة يد مع غويشات

**

الفرق المؤخر ريحو فكه هواهو
ذكرني السوار دهب البراتي لواهو
كان ربي أجاب طلبي ومناي تماهو
أمتع روحي وأشرب من لذايذ فاهو

واضح أن الشيخ عبد الله ود شوراني وهو فقيه قد داخل هذا الفن وأنه ملم بالمنازل، وظهر جلياً في مسدار النجوم هذا وربما تجاوز الاسم السوداني للنجم إلى الاسم العربي القديم ، ولم يذكر في منظومته الصقور (الصقر المكتف والصقر البتبات) أي النسر الواقع والنسر الطائر في التسمية

العربيـــة ، والبتبـــات يثـــير الغبـــار حســـب اعتقـــاد النجامـــين ويذكـــر ود شـــوراني النعائـــم وقـــد ورد في أقوالهـــم (كان طلعـــت النعايـــم يجـــي الـــبرد متلايـــم) ، ويقـــول ســـعد ذابـــح وهـــي التســـمية العربيـــة الأصيلـــة ويســـميه الســـودانيون ســـعدو ســـابح ، يقـــول الشـــاعر :

هبهاب سعدو سابح حالتي مكدرها
لف التابه أبى نيراني ما يفدرها

ورأينا أن شعراء السودان قد كتبوا جملة صالحة في وصف النجوم وبثوها همومهم وشاركوها السهر والسرى ، يقول أحدهم :

نجم الليل الغاب غاب والما غاب عرفت حسابو
المازيني أبو بنيه الطلق بنتابو

وبعضهم كأنما صاورا حراساً للنجم ، يقول الصادق ود آمنة :

بحاسب في النجوم الطالعة واللدلت
نامن عقدة الليل بالحَمار انحلت

ويقول أيضاً :

البارح علي جمر الصنوب بتعرك
نامن كوكب الليل المقابل ورّك

ومن الشعراء الذين تكلموا عن العين عكير الدامر فهو يصف طلوع الطرفة (البكاية) وهي من عين المطر الدفاقة فتراه يصف آثارها ويقول :

السماء غيمو ضلا ونجحت البكايه
والمحل القبيل خوفنا أمسى حكايه
العجمية فرحت وحضنت الكاكايه
قِرَب الري نسيناها وربِط وكايه

يقول عكير :

سيطان السلم لبست بعد ما اتعرت
شالات الحجاز الخضره فوقا انشرت
نزل الفوركيت والعجفة شالت ودرت
وقمرية المجاعة الراكضه طارت وفرت1[32]

الخاتمة :

وفي الختام يبقى النجامون نجوماً في سماء المعارف الشعبية التي تذخر بالحكمة وفصل الخطاب ، ويبقى دورهم القديم المتجدد مهماً في مجتمعات بسيطة تصنع الحياة في أعقد تجلياتها.

فالنجامي وفي كثير من الأحيان يعطي رحيق تجاربه وعصارة حكمته مجاناً فهو بمثابة خبير وطني متطوع وإن تطاول عليه الأفندية الذين نالوا قسطاً من المعارف الحديثة ، وما نالوا ما نالوا من علم إلا ببركة معارفه وأتباعه من الرعاة والزراع الذين هم أول من يعطي وآخر من يستفيد ، ونرجو أن ينال هؤلاء الخبراء الوطنيون حقوقهم ولو الحقوق الأدبية كحد أدنى لما ظل يقدمونه من معارف أتت ولا زالت تؤتي أكلها كل حين .

ولقد رأينا في تعلقهم بالنجوم وإلمامهم بأسرار الكون والطبيعة أنهم يمثلون جزءاً إيجابياً من هذا الكون الذي أبدعه الله ، فهم لا يفسدون عذرية الكوكب ويحرصون على سلامة البيئة ، وتقف أشعارهم ومقولاتهم شواهد حية تضيء الآفاق وتنبض الحياة مثل النجوم البعيدة المفعمة بالسحر والأسرار .

وفي كل شيء له آية ** تدل على أنه الواحد

وفي الختام نردد ما قاله الشاعر العلامة المختار الحامد :

فما قلنا بنوء كذا مطرناً ** أبى الإيمان ذاك لنا إباءَ

وتبقى تلك المعارف الشعبية جديرة بالدرس قمينة بالاحتفاء والتوثيق لكي لا تسفي عليها سوافي الإهمال والنسيان .

المصادر والمراجع:

(1) معجم المعاني الجامع – موقع إلكتروني
(2) القرءان الكريم - سورة الأنعام الآية 97
(3) تفسير ابن كثير – موقع إسلام ويب
(4) تفسير الطبري – موقع إسلام ويب
(5) موقع إسلام ويب
(6) الموسوعة الحرة – موقع إلكتروني
(7) المرجع السابق
(8) نفس المرجع
(9) قاموس اللهجة العامية في السودان – عون الشريف قاسم – المكتب العربي الحديث القاهرة
(10) مقابلة مع النجامي فضل الله سعيد ريحان يوم 20/12 /2015 م
(11) ديوان سقط الزند – دار صادر للنشر بيروت 1957 م
(12) الباحث شاعر ولغوي معروف في ريف امدرمان(الموسوعة)
(13) ديوان سقط الزند – مرجع سابق – وتمام البيت : فما أغفلت من بطنها قيد إصبع
(14) مقابلة مع النجامي أمحمد ود غبوش 2001
(15) معارف شعبية استفادها الباحث بحكم البيئة والنشأة
(16) ديوان اللزوميات للمعري – دار الكتب العلمية – بيروت 1986
(17) مقابلات مع علي ود بلل ود عمارة في يونيو 1992
(18) معارف شعبية استفادها الباحث بحكم نشأته بالبادية من مصادر متعددة
(19) مقابلة مع فضل الله سعيد ود ريحان – أكتوبر 2017
(20) معارف شعبية استفادها الباحث بحكم نشأته بالبادية من مصادر متعددة
(21) « نظم ود شوراني للعين – مصدر شفاهي – الراوية حسن محمد بشير وأيضاً سلسلة أدب البطانة لحسن ود دوقة – الخرطوم مطبعة الجزيرة 2006
(22) قاموس اللهجة العامية في السودان – عون الشريف قاسم – مصدر سابق
(23) مقابلة مع الخبير الصحراوي ود الريف العبادي – نوفمبر 2015
(24) علي ود بلل ود عمارة – مصدر سابق
(25) مخطوطة ديوان الساعور – جمع البروفيسور عبد الله علي إبراهيم
(26) مقابلة مع الشاعر محمد علي التوم مايو 1996
(27) علي ود بلل ود عمارة – مصدر سابق
(28) ود غبوش البغدادي – مصدر سابق
(29) الموسوعة الحرة – مصدر سابق
(30) ود غبوش البغدادي – مصدر سابق
(31) سلسلة أدب البطانة - حسن ود دوقة – مصدر سابق
(32) عكير الدامر – رواية عبد الله أحمد الشيخ

الخليفة هارون الرشيد
(دراسة تحليلية)

د.حسّان صدّيق الفاضل

أستاذ مُشارك - قسم الدراسات الاسلامية
كلية التربية - جامعة الزعيم الأزهري

مستخلص:

تهدف هذه الورقة الى القاء الضوء على شخصية الخليفة هارون الرشيد ، واظهار جوانب القوة والعظمة في حياته ، تلك التي جعلت منه ان كان اميز خلفاء بني العباس . فهو وحده الذي سقى جيوش البيزنطينيين كئوس الهزيمة ، اضافة الى ما كان عليه من القوة في الدين والبسط في العلم . تبرز اهمية هذه الورقة في انها تكشف اللثام على ما انطوت عليه شخصية هارون الرشيد من جوانب الغموض وتزيل مظاهر الظلم التي نسبت إليه زورا ، فكان اكثر الشخصيات التاريخية تعرضا للنقد والطعن والدس في سيرته . سلكت في كتابة هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي .وخلصت في الختام الى جملة من النتائج كان من ابرزها : يعد هارون الرشيد من. اميز خلفاء بني العباس ، واجل ملوك الدنيا ، واكثرهم ورعا وتقوى واجتهادا في العبادة . هارون الرشيد رجل قوي الشخصية ، مهاب في نفوس الاعداء ، عابد ورع مطيع ، وعالم جليل عامل بعلمه ، اسس دعائم النهضة العلمية وارسى قواعد الحضارة الاسلامية .

Abstract:

The aim of this paper is to shed light on the personality of the Caliph Harun al-Rashid, and to show the aspects of strength and greatness in his life, which made him the most distinguished caliphs of Bani al-Abbas. He was the only one who watered the Byzantine armies with the cups of defeat, in addition to the strength he had in religion and the breadth of knowledge. The importance of this paper is that it reveals the ambiguity of the personality of Harun al-Rashid and removes the manifestations of injustice that were falsely attributed to him. In writing this research, I used the descriptive analytical method.In the end, I concluded with a number of results, the most prominent of which were: Harun Al-Rashid is considered one of the. I distinguish among the caliphs of Banu al-Abbas, the most honorable of the kings of this world, and the

most pious, pious and diligent in worship.Harun al-Rashid is a man of strong character, feared in the hearts of enemies, a pious and obedient worshiper, and a great scholar who worked with his knowledge, who laid the foundations of the scientific renaissance and laid the foundations of Islamic civilization

مقدمة:

تعتبر شخصية هارون الرّشيد شخصية عصر أكثر ممّا هي شخصية إنسان , فما انطوت عليه شخصيته من جمال الخصال , وما جمعته من عظام الصّفات جعل الرّشيد شخصية فريد نادرة . ولعل من أبرز دواعي لاختيار هذا الموضوع توضيح الدّور الرّيادي للقائد هارون الرّشيد , وبلاؤه العظيم في نشر الدّعوة الإسلامية حتّى نالت دعوة الإسلام في خلافته حظّها الأوفى من القوة والانتشار .

وكانت هذه الإنجازات بمثابة الشّرارة الّتي اشعلت روح الطّعن والنّقد حول هارون الرّشيد , فرصد الأعداء هفواته وضخّموها , ونسجوا حولها وجسّموها , وصبّوا عليها سيولا من الظّنون والتّهم والافتراءات , كما أثيرت حوله القصص ونُسِجت الرّوايات الباطلة وحِيكت الاتهامات , فأخذوا عليه ما لم يقله ونسبوا إليه مالم يفعله .

وجاء دور العلماء الّذين انبروا للنُصرة ودفع الأذى عن الرّشيد , وسرعان ما بان وجه الحقيقة وبطلت تلك الرّوايات والقصص واحدة بعد الأخرى , فرُدّت رواية زواج الرّشيد أخته العبّاسة لجعفر البرمكي , وبطلت التّهمة بمعاقرة الرّشيد للخمر , فجميع ما قيل خلا من السّند وبطلت بذلك المرويات وبطل مضمونها .

والحق أنّ الرّشيد عاش معمراً للأوقات - في طاعة الله - يحجّ عاما ويَغْزو عاما , ويقوم الليل ويتصدّق من صُلب ماله بجُعلٍ وافي .

الأمور الّتي نُقِمت على الرَّشيد:

كانت شخصية الخليفة هارون الرّشيد من أكثر الشخصيّات التّاريخية تعرّضا للنّقد والطّعن والكذب والدّس في سيرته , فتعرّض للجرح في حياته , والاتهام في سلوكه مالم يتعرّض له أحد سواه من الخلفاء , وأُثيرت حوله الافتراءات وحِيكت عليه الاتهامات ومن أبرز اتهامات أهل الزّور للرّشيد.

قصّة العبّاسة وجعفر البرمكي :

ذكر الطّبري : أنّ سبب هلاك جعفر البرمكي أنّ الرّشيد لا يصبر عن جعفر وعن أخته العبّاسة بنت المهدي , وكان يحضرهما إذا جلس للشّرب .....

ثـمّ يقـوم عـن مجلسـه ويخليهمـا فيثمـلان مـن الـشّرب وهمـا شـابان , فيقـوم جعفـر فيجامعهـا فحملـت منـه وولـدت غلامـا , فخافـت عـلى نفسـها مـن الرّشـيد حتّـى وقـع بـين عبّاسـة وبـين بعـض جواريهـا شر فأنهـت أمرهـا وأمـر الصّبـي إلى الرّشـيد .....[1] وتابـع المُؤرّخـون آثـار الطّـبري مـن بعـده في روايـة هـذه القصّـة , فقـال ابـن الأثـير في سـياق حديثـه عـن إيقـاع الرّشـيد بالبرامكـة ذات القصّـة المجـرّدة عـن السّـند [2] . وجـاء ابـن كثـير فقـال : مـن العلمـاء مـن أنكـر ذلـك , وإن كان ابـن جريـر قـد ذكـره [3] .

اتّهام الرّشيد بشُرب المسّكِر :

كما روّجت كتب الأدب القديم بفرية على الرّشيد هي أم المفتريات ورأس الكبائر , زعموا : أنّه كان يتعاطى الخمر , ويسكر مع النّدماء , وأبرزوه – على صفحات التّاريخ – في صورة العربيد الّذي لا يفيق [4] . وكان أبو فرج الأصفهاني من القُدامى اللّذين تولّوا كِبر هذه الفرية , وقال بشُرب خليفة المسلمين هارون الرّشيد للمسّكِر في مجالسه وأوقات منادمته [5] . وأضاف أبو فرج الأصفهاني يصف تعلّق الرّشيد بالخمر والخمّارين – حسب الزّعم الباطل – ومحبته لإبراهيم الموصلي , الذي أصبح من روّاد بلاط الرّشيد ومنادميه حيث قال : أنّ الموصلي لزم خمّارا ثلاثة أيام لا يُعرف مكانه , ثمّ عاد ليواجه غضب الرّشيد بحكاية عن الخمّار وظرفه وسخاء نفسه , وأردف ذلك بأبيات قالها في الخمّار , ثمّ غنّاه فيها صوتا زمّر عليه برصوما , فطرب الرّشيد , ووصل الخمّار والموصلي [6] . وبذا فقد فتح الأصفهاني أبواب الفتنة بالطّعن في حياة الرّشيد لأرباب النّقد وأصحاب الهوى , اعتمادا على مثل هذه الرّوايات القصصيّة بلا سند ولا دليل , حتّى جاء دعاة الاستشراق وتبنوا القضية وانبرى { ول ديورانت } وتولّى الحملة يتهم الرّشيد بشُرب الخمر فقال : ..... يقال أنّه كان يشرب الخمر , ولكنّه لم يكن إلاّ سترا مع عدد قليل من خاصة أصدقائه ..... وكان أحبّ رفاقه إليه الشّاعر الماجن أبو نوّاس , وكان كثيرا ما يغضب على أبي نوّاس لسفه وسوء سيرته , ولكن كان في كل مرّة يصفح عنه لجودة شعره [7] .

مجالس اللّهو والطّرب :

ومـن الأمـور الّتـي نُسِـبت إلى هـارون الرّشـيد بالافـتراء والباطـل : الحديـث عـن وصـف مجالـس اللّهـو والمجُـون الّتـي كانـت تُعقـد في قـصره إلى طلوع الشّـمس حتّـى التصقـت قصّـة ألـف ليلـة وليلـة بحيـاة الرّشـيد [8] . أمّـا أيـن يُعقـد مجلـس المُنادمـة ؟ قالـوا : ذلـك أمـر مرتبـط بإقامـة الرّشـيد , وقـد عـاش الرّشـيد متنقّـلا لا يعـرف الاسـتقرار . ذكـر صاحـب الأغانـي : تحمّلِـهِ فجـاءة إلى دار إبراهيـم الموصـلي في إحـدى اللّيـالي حيـث طـرب وشرب [9] . ويصـوِّر صاحـب الأغانـي طبقـات المُنادمـين للرّشـيد في مجلـس واحـد , لا تحجبهـم سـتارة أوأيـوان , بحيـث يـرون الرّشـيد مـن غـير علـم منهـم برؤيتـه , قـال الرّشـيد للحـارث بـن بسُـخُنّر : قـد اشـتهيت أن أرى

ندمائي ومن يحضر مجلسي من المغنين جميعا في مجلس واحد يأكلون ويشربون .....ومن غير علم برؤيتي إيّاهم , فأعِدّ لي مكانا أجلس فيه أنا وعمّي سليمان وإخوتي إبراهيم بن المهدي وعيسى بن جعفر وجعفر بن يحي [10] .وجاء رواة القصص المُحدِّثين وساروا على درب من قد سبقهم في وصف مجالس الغناء بحضرة الرّشيد , وزعموا أنّه من المُدمنين سماع الغناء , والاشتغال به والتّفرّغ لحضوره . قال { ول ديورانت } : ..... قد جمع حوله في بغداد عددا عظيما من الرّاقصات والرّاقصين , والغنّايين , والفكهين , والمرحين , وكان ينقد أعمالهم وأقوالهم نقد العالم الخبير , صاحب الذّوق السّليم ويجزيهم عليها بسخاء [11] .

ازْدِواج شخصية هارون الرّشيد عند قُدامى المُؤرِّخين :

ممّا لا شكّ فيه أنّ مصادر التّاريخ الموثوقة قد أمدّتنا بأبرز جوانب الصّلاح والفلاح في حياة هارون الرّشيد , ولكن لم يخلو بعضها من صور الطّعن والتشويه بالجمع بين الصّفات المُتناقضة في سلوك الرّشيد , وإيراد التَّضادات في السلوكيّات , ومن هؤلاء :

-1ابن جرير الطّبري : فإنّه قال عن الرّشيد : كان يقتفي آثار المنصور ويطلب العمل بها إلاّ في بذل المال , فإنّه لم يُر خليفة قبله كان أعطى منه للمال , وكان لا يضيع عنده إحسان مُحسن , ولا يُؤخِّر ذلك في أول ما يجب ثوابه . وكان يحب الشّعر والشّعراء , ويميل إلى أهل الأدب والفقه ويكره المِراء في الدّين ..... [12] . بينما أورد الطّبري – فيما سبق – قصّة العبّاسة وجعفر البرمكي بلا سند ,وتابع المؤرِّخون آثاره في رواية هذه القصّة من بعده .

-2ابن الأثير صاحب (الكامل في التّاريخ) : ذهب في هارون الرّشيد مذهبا ماديا بحتا ,جمع بين الثّابت والصّحيح من الأقوال , وبين ما أثير حوله من الرّوايات المدسوسة , دون إجراء موازنة تحليل السّند , أو معرفة رواته على ضوء كتب الجرح والتعديل , كتب ابن الأثير عن هارون الرّشيد – وهو حديث عهد به – فأجمل فيه القول وأحسن , قال : ..... كان يحجّ عاما ويغزو عاما , ويصلّي كل يوم مائة ركعة , ويتصدّق من صُلب ماله كل يوم بألف درهم ..... [13] . ورصد أخبار مغازيه للصّوائف والشواتي في المشرق الإسلامي وفي بلاد الرّوم , لكنّه تجاوز ذلك إلى مالم يُمكن تصوّره من استحالة الجمع بين المتضادات وإيراد المُتناقضات , وفي معرض حديثه عن نكبة البرامكة قال : وكان سبب ذلك أنّ الرّشيد لا يصبر عن جعفر وعن أخته العبّاسة بنت المهدي , وكان يحضرهما إذا جلس للشرب ..... [14] .

ومن هذه النّماذج تبيّن أنّ مصادر التّاريخ الموثوقة قد جمعت بين

سيرة هارون الرّشيد الحقيقية وبين صورته الخيالية , وعلى ذلك تتبّع التّلاميذ مشايخهم في نقل الأخبار .

دَحضُ الافتراءات وتبْرئة الرَّشيد

ومن خلال عرض هذه الرّوايات ومناقشتها تبيّن أنّ ابن جرير الطّبري روى قصّة العبّاسة أخت الرّشيد , وزواجها الصّوري من جعفر البرمكي نقلا بلا سند , وهو الذي قال في مقدّمة تاريخه : ..... فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين ممّا يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه , من أجل أنّه لم يُعرف وجها في الصّحة , ولا معنى في الحقيقة , فليعلم أنّه لم يُؤت في ذلك من قِبلنا , وإنّما أتي من قِبل بعض ناقليه إلينا , وإنّا إنّما أدّينا ذلك على نحو ما أدّي إلينا [15]

وبذا يُؤكّد الحافظ الذّهبي بطلان قصّة العبّاسة وجعفر البرمكي وعدم صحتها قائلا : روى الطّبري القصّة عن أحمد بن زهير , عن عمّه زاهر بن حرب , وهما لا يُعرفان , والقصّة لا تصح [16] . وذهب ابن كثير إلى مذهب مناقضة ابن جرير في الرّواية لكنّه اعترف أنّ العلماء أنكروها وابن جرير ذكرها [17] .

ومن خلال مناقشة الرّواية فيما ذكر الطّبري ..... أنّ الرّشيد كان لا يصبر جعفر وعن أخته العبّاسة ..... وأنّها حملت من جعفر وولدت له صبيا أرسل إلى مكة .... تبدو المفارقة , إذ كيف يكون ذلك وهي تُجالس الرّشيد كلّ يوم ؟ ولم ير دلائل الحمل وهو يتفقّد أفراد أسرته حتّى أنّه يُوقظهم لصلاة الفجر ؟ وكيف تكون العبّاسة تزوّجت بجعفر زواج صوري ولم يثبت أنّها عاشت بلا زوج عدا فترات العِدّة بين زوج وآخر ؟ وكيف أقدم علماء الرّشيد من حوله على تجويز هذه الزّيجة ؟ بل كيف باركوا عقد أمرها ؟ وهم أهل الحلّ والعقد والتّحليل والتّحريم ؟ .

وقد جاء في أعلام النّساء : كانت عُلية حسنة الدّين , وكانت لا تُغنّي ولا تشرب النّبيذ إلاّ إذا كانت معتزلة الصّلاة , فإذا طهُرت أقبلت على الصّلاة والقرآن وقراءة الكتب [18] . وبذا عُرِفت العبّاسة أخت الرّشيد – كأخيها الرّشيد – بدينها وخُلقها ومن ذلك كانت تعدل بكثير من أفاضل الرّجال في فضل العقل وحُسن المقال ولها شعر رائع . وكانت تقول : لا غفر الله لي فاحشة ارتكبتها قط ولا أقول في شعري عبثا [19] . وبذا فقد بان تناقض هذه القصّة , وتأكّد عدم صحتها من جهة النّقل والعقل , وإنّما ثبت بالتّواتر على حُسن خُلق هارون الرّشيد وتقواه وصلاحه , فحاشا الله أن يأمر النّاس بالبِرّ ويأتي بضده في أهله , فضلا على ما كانت عليه العبّاسة – المُفْترى عليها – من

الصّلاح والفلاح فقد قالت : ما حرّم الله شيئا إلا قد جعل فيما حلّ منه عِوضا فبأي شيء يحتجّ عاصيه المُنتهك لحُرماته [20] .

كما افترى أهل الزّور على الخليفة الرّشيد شُرب المُسكِر ومُعاقرة الخمر , في مجالسه وأوقات مُنادمته . وقد تولّى أبو فرج الأصفهاني كِبر هذه الفرية , وأفاض في ذكر مجالس الخمر الّتي يحضرها الرّشيد , وشحن كتابه { الأغاني } بالمزاعم والاتهامات الباطلة , ويعيب صاحب الأغاني على الرّشيد والعيب فيه بدليل فتاوى علماء الجرح والتّعديل , وهو عندهم متّهم ومجروح , قال عنه الحافظ الذّهبي في ميزان الاعتدال في نقد الرّجال : يأتي بأعاجيب بحدّثنا وأخبرنا , وكتب ما لا يُوصف كثرة حتّى اتُّهم .

وتواترت أقوال العلماء في تجريح الأصفهاني ، فأكّد أبو محمد الحسن بن الحسين النوبختي حكم الذّهبي فقال : كان أبو فرج الأصفهاني من أكذب النّاس , يأتي بالرّواية بلا سند مكتفيا بعبارة : حُكي , ورُوي , وقيل , وحدّثنا [21] . وبذا فقد ثبت بطلان ما حواه كتابه { الأغاني } من مزاعم حول الرّشيد ومفتريات .

قال ابن خلدون : وقد ألّف القاضي أبو فرج الأصفهاني , وهو ما هو , كتابه في الأغاني , جمع فيه أخبار العرب وأشعارهم وأيّامهم ودولهم [22] . وحري بكتاب باسم الأغاني – والاسم يتخلّل المُسمّى - أن يختصر على اسمه لا يتعداه ولا يتجاوزه .

ومن الضّوابط والمعايير المعتبرة في الحكم على هؤلاء المُؤرِّخين , حسن الزّي وجمال الهندام , إذ أنّ ذلك دليل على نقاء الباطن وطهارته , فكانت أقوال أبو فرج الأصفهاني – في اتّهام هارون الرّشيد أشبه بما كان عليه من ثياب , وقد عُرِف صاحب الأغاني بإ تساخ جسمه وملابسه ونعله بصورة تأ باها النّفس وتقشعرّ منها الجلود , علما بأنّ المظهر عنوان المخبر , قال ياقوت الحموي : كان وسخا في نفسه , ثمّ في ثوبه , ونعله , حتّى أنّه لم يكن ينزع دُرّاعة إلاّ بعد بلائها وتقطيعها , ولا يعرف لشيء من ثيابه غسلا [23] . علاوة على ما قد ثبت عن نسبته للأمويين ومُتشّيع [24] . فلا يُستبعد إذا دسّه لتلك الرّوايات والحكايات الكاذبة من حيث يدري , مدفوعا بنقمته على العبّاسيين , مثله كأي أموي يندب حظّه ، وينعي ملكه الزّائل .

وبذا فعلى أبي فرج الأصفهاني يقع العبء الأكبر , وهو من يتحمّل وزر هذه الفرية من أهل الزّور , ويتحمّل وزر كلّ من خاض فيها وتتبّع أثره من بعده بالطّعن في الرّشيد من أرباب الزّور القدامى منهم والمُحدّثين , ومن اتّهمه منهم بشرب الخمر , استنادا على رواياته المُنقطعة السّند , وفي اعتماده على الأسلوب الرّوائي القصصي .

وتواصل أرباب الزّور في كيل الاتهامات واختلاق الأكاذيب حول الرّشيد فاتّهموه بالانهماك في الغناء والانشغال بمجالس الطّرب , إذ فكيف يكتظّ قصر الرّشيد بعشاق الهوى ويخلو من أهل العلم والذّكر ؟؟ . فمن الواضح من هذه الفرية أنّ المراد بها الطّعن في شخص هارون الرّشيد بوسائل متعدِّدة بغرض تضخيم الهجمة ضِدّه , بينما غضّوا الطّرف تماما عن جوانب الرّشيد المُشرقة , ومظاهر الصّلاح والفلاح المُتمثِّلة في عمق التّدين الّذي اكتسى به الرّشيد , وازّدان به قصره ومجالسه , وقد عرفنا أنّ حلقات الذّكر وتلاوة القرآن كانت تضفي على قصره زينة وجمالا , بدليل ما ورد عن حياة زوجته زبيدة الخاصّة حيث كان عندها مائة جارية يقرأن القرآن يُسمع لهنّ في قصره دوي كدويّ النّحل من القراءة [25] .

وكان هارون الرّشيد يُعدّ من أهل الورع الأتقياء , فقد برمج لحياته اليومية برنامجا بحيث تُحسب أي لحظة من عمره في ميزان حسناته , بدليل أنّه كان يُصلِّي في كلّ يوم مائة ركعة تطوعا , وهي تستغرق معظم ليله , فمن أين له بالوقت – أزاء ذلك – كي يسمر في مجالس الغناء ؟؟

ونجده قد قسّم الأيّام واللّيالي على سبع ليال : ليلة للوزراء , وليلة للكتّاب , وليلة للقوّاد وأمراء الأجناد , وليلة للعلماء والفقهاء , وليلة للقراءّ والعُبّاد , وليلة لنسائه وأهله ولذّاته , وليلة يخلو فيها بنفسه [25]

فأين إذا للرّشيد – من بعد كلّ ذلك – وقتا يستمع فيه للغناء ؟؟ , وقد انتظمت أيّامه وفق هذا البرنامج المُنظّم ؟؟ ومن هنا يتأكّد لنا حقيقة الرّجل وبطلان المُفتريات المزعومة عليه . والحقّ يُقال أنّ من عمّر قلبه بالطّاعات , وملأ ليله بالصّلوات , بمثل تعبّد الرّشيد وطاعته لربّه , فهيهات هيهات أن يقارف معصية أو يأتي مُنكرا , فصلاته تنهاه وتحميه .

وفي زعم آخر جمع المُؤرِّخون القُدامى بين شمائل الرّشيد , وجلائل مكارمه , وأنّه يُصلي مائة ركعة نافلة , ويحجُّ عاما ويغزُو عاما ..... وبين سيل الاتّهامات الجارف من الرّوايات غير الصّحيحة , وإنّهم بذلك أتاحوا المجال لمن هبّ ودبّ من كُتاب العصر لئن يشيعوا القول بجنوح الرّشيد بعاطفته إلى الجدِّ حينا ثمّ يمضي في اللّهو , ويبكي من الوعظ ويطرب للغناء , فيجمع في حياته بين المُتناقضات .

وجاء أحمد أمين يُصوِّر لنا هارون الرّشيد ذو شخصية مزدّوجة , بحيث يجمع بين الفضيلة والرّذيلة في آن واحد , فبينما يتصوّره يُصلّي الصّلاة في أوقاتها ينسب إليه – في الوقت ذاته – ارتكاب المُوبقات والكبائر , حتّى تضعف إرادته لدرجة أنّ طاعته – على كثرتها – لم تمنعه من اقتراف الفحشاء والمُنكر [27] .

ولئن كانت عاطفة الرّشيد قد غلبت عليه – حسب زعم أحمد أمين – لهذا الحدّ , فإنّا نُنزِّه هارون الرّشيد عن ذلك , ونقول بأنّه صاحب نفس غلب عليها الإيمان , لأنّ شدّة العاطفة دليل على رقّة النّفس , وصفاء القلب , والّذي طالما جلاّه بكثرة الذّكر والصّلاة والقيام , حتّى غدا هارون فارسا بالنّهار , وعابدا متبتّلا باللّيل , ولا شكّ أنّ رقّة نفس كهذه نعمة يغبطه عليها الغابطون , وجمال يحسده عليها الحاسدون .

ومن أنصع الصُّور الّتي تبيّن روح التّدين في شخصيّة الرّشيد , وما كان عليه من الاعتقاد في حبّه للموت وكراهيته للحياة ما صدر منه لحظة وفاته من قوّة الإيمان وبيان حقيقة حسن الخاتمة , مات الرّشيد في الغزو بطوس من خراسان شهيدا مجاهدا في سبيل الله , ورأى مناما أنّه يموت بطوس , فبكى وقال : احفروا لي قبرا , فحُفِر له وسيق حتّى نظر إليه فقال : يا ابن آدم تصير إلى هذا ؟؟ , وأمر قوما فنزلوا فختموا فيه ختمة , وهو في محفّة على شفير القبر[28] .

أسباب هذه الافتراءات :

الواضح أنّ هارون ما كان مقصودا في شخصه بهذه التّهم فحسب , بل إنّما المُراد بذلك حضارة الإسلام الّتي بلغت في أيّام الرّشيد عصرها الذّهبي , حتّى وصلت أعلى قمة في التّاريخ الحضاري حينذاك . كما قُصِد هارون الرّشيد بهذه الطُّعون لما تميّزت به حياته الزّاخرة من الإعجازات الخارقة والإنجازات الباهرة , فهو الّذي كسر جيوش الرّوم وهزمهم مرات , وبوصفه أعظم الخلفاء العبّاسيين سيرة وسريرة , وأكثرهم غزوا وحجّا , بل أنشطهم طاعة لله وصدقة وقياما , فلاشكّ إذن أن تنوشه سهام الزّور , وتوجّه إليه الاتّهامات والافتراءات .

وقال د. مجاهد بهجت : وتعكس المصادر الأدبية والتّاريخية صورة تبالغ في لهوه وعبثه وطربه , ولعل أسباب كثيرة دفعت الرُّواة إليه , فالشيعة موتورون من قِبله ولذلك غضُّوا عن محامده وأبرزوا نقائصه , والفرس انحازوا ضِدّه لنكبة البرامكة [29] .

ويُعقِّب د.أحمد مختار العبّادي فيما قِيل في رواية العبّاسة ودوافع ذلك بقوله : ..... هذا مُلخّص قصّة العبّاسة الّتي يظهر فيها الخيال والاختراع , وواضح أنّ القصد منها الحطُّ من مكانة الرّشيد وطعنه في كرامته وعرضه , ولاشكّ أنّها من صُنع الشّعوبية والفارسيّة , الّتي أرادت الإنتِّقام من الخليفة الهاشمي العربي الّذي أوقع بالبرامكة العجم , ولاشكّ أنّ الرّشيد لا يُمكن أن يُطعن في رجولته ومروءته بِمثل هذه الصُّورة المُزرية الّتي تصوِّره يجمع بين أخته وجعفر بزواج صُوري [30] .

وفوق هذا كلِّه لا يفوت علينا مساعي الكنيسة الأُوربية [31] في تشويه سيرة هارون الرّشيد , لأنّه هو الخليفة الإسلامي الّذي سقى جيوش البيزنطينيين كؤوس الهزيمة والهوان , وأجبرهم على دفع الجزية على كلِّ نفس في دولتهم الكُبرى , بما فيهم الإمبراطور وأفراد أُسرته , ورجال بلاطه , والكنيسة بكهنتها وأربابها .

الخاتمة

بعد هذا العرض يستقيم القول بأن هارون الرشيد شخصية من اميز خلفاء بني العباس ، واكثرهم ورعا وتقوى واجتهادا في العبادة . قصده الأعداء واتهموه بالزور ، ووجهوا إليه الادعاءات الباطلة والافتراءات المزعومة ، فاخذوا عليه مالم يقله ونسبوا إليه ما لم يفعله!!

كل ذلك بقصد تشويه سيرته الناصعة بوصفه اعظم الخلفاء العباسيين سيرة وسريرة . ومن هنا جاء اهتمام كوكبة العلماء _ ممن تسارعوا لنصرة الرشيد ودفع الاذى عنه _ واثبات كذب وزيف رويات الزور التي حيكت حول هارون الرشيد وانه لا أصل لها ، اعتمادا على ذمة الراوي بقوله : حكي .. وروي .. وقيل من دون اثبات سند الرواية ، وبذا بطلت تلك الروايات وبطل مضمونها .

وفي ختام هذه الدراسة اورد موجزا لابرز النتائج والتوصيات التي توصلت إليها .

-كان هارون الرّشيد أميز الخلفاء في دولة بني العبّاس , وأكثرهم ورعا وتقوى , واجتهادا في العبادة والأعمال الصّالحة , بل أجلّ ملوك الدُّنيا .

-جمع هارون الرّشيد - في حياته – بين الغزو والحجِّ جمعا فاق فيه من سبقه من الخلفاء وعجز أن يدركه أحد من بعده .

-لو كانت للرّشيد بعض السّلبيات الّتي حُسبت عليه فإنّها - لاشكّ – تذوب في خضم بحر إيجابياته الزّاخر .

-كثرة الإفتراءات على الرّشيد والطّعن فيه دليل على ما كان عليه من العِزّ والهيبة في قلوب أعدائه , ولهذا تكالبت عليه أقلام العِدا بُغية إطفاء أنوار المجد , ومشاعل العلم والحضارة الّتي وضع بذورها بيده .

- بطلان رواية زواج الرّشيد أختَه العبّاسة لجعفر البرمكي , فما اعتمد عليه الطّبري في سند الرّواية أفاد الحافظ الذّهبي بأنّهما لا يُعرفان والقصّة لا تصح .

-رد التُّهمة بمُعاقرة الخليفة هارون الرّشيد للخمر , نسبة لاعتماد أبو

فـرج الأصفهانـي في رواياتـه عـن هـذه الفريـة في كتـاب الأغانـي عـلى حُكـي .. ورُوي .. وقِيـل مـن دون سـند الرِّوايـة , وبـذا بطلـت كلّ تلـك الرِّوايـات وبطـل مضمونهـا .

-عـاش الرّشـيد معمِّـرا للأوقـات بالعِبـادة يغـزو عامـا ويحـجُّ عامـا ، بـذا صـارت واجباتـه أكثـر مـن أوقاتـه , وليـس لديـه وقتـا لسـماع الغنـاء , وحضـور مجالـس اللّهـو كمـا زُعِـم .

التوصيات :

- التأكيـد عـلى دراسـة حيـاة الخليفـة هـارون الرشـيد ، واظهـار جوانـب القـوة والعظمةالتـي امتـاز بهـا .
- تشـجيع طـلاب البحـث والدراسـات لتنـاول شـخصيات ومشـاهير قـادة الدولـة الاسـلامية .
- ضرورة ان تتبنـى تلـك الدراسـات ضوابـط تهـدف الى ازالـة الغمـوض عـن اعـلام قـادة المسـلمين وبيـان وجـه الحـق والحقيقـة في حياتهـم .
- الحـث عـلى تلقـي علـوم الحديـث ودراسـتها وبيـان اهميتهـا في انهـا منظـار العـدل للروايـات التاريخيـة وتعديلهـا .
- الدعـوة الى اعـادة كتابـة التاريـخ الاسـلامي لبعـض الشـخصيات الاسـلامية _ هـارون الرشـيد نموذجـا _ بعـد التعديـل والجـرح ودحـض الافـتراءات والمزاعـم الباطلـة .

المصادر والمراجع:

(1) تاريخ الطبري 8/294 .
(2) الكامل في التاريخ 5/327 حوادث سنة سبع وثمانين ومائة .
(3) البداية والنهاية 10/196 .
(4) د. أبراهيم علي شعوط – أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ص : 352 .
(5) الأغاني 9/ 4-6 .
(6) نفس المصدر 5/196 .
(7) قصة الحضارة 13-14 : 91 .
(8) شعوط مرجع سابق ص : 352 .
(9) مصدر سابق 5/198 .
(10) نفس المصدر19/246 .
(11) قصّة الحضارة / المجلد والصفحة السابقة .
(12) تاريخ الطبري 8/347 .
(13) الكامل في التاريخ 5/356 .
(14) نفس المصدر5/327 .
(15) تاريخ الطبري 1/8 .
(16) سير أعلام النبلاء 9/66 (هامش 2) .
(17) البداية والنهاية 10/196 .
(18) عمر رضا كحالة /أعلام النساء 3/335 .
(19) نفس المصدر3/334 .
(20) نفس المصدر 3/335 .
(21) الحافظ الذهبي / ميزان الاعتدال في نقد الرجال 3/123 .
(22) المقدمة 4/1268 .
(23) معجم الأدباء 4/54 .
(24) الحافظ الذهبي / ميزان الاعتدال 3/121 .
(25) أنظر : رضا كحالة / أعلام النساء 2/26 .
(26) ابن قتيبية / الإمامة والسياسة ص: 156 .
(27) أنظر ضحى الإسلام 1/111–112–115, مكتبة النهضة المصرية, ط1, بيروت.
(28) أنظر تاريخ الطبري 8/342 . وتاريخ الذهبي : حوادث 191 200- .
(29) التيار الإسلامي ص: 67 .
(30) في التاريخ العباسي والفاطمي ص : 86 .
(31) وقد زرعتها الجامعة الأمريكية في بيروت 1908م كمؤسسة تبشيرية مسيحية من أجل بث الديانة المسيحية بين أرجاء الوطن الإسلامي , وتشكيلهم حسب رغبات التوجه التبشيري المسيحي .
(32) عبدالكريم باز / افتراءات فيليب حتي وكارل بروكلمان عل التاريخ الإسلامي ص : 29

المصادر والمراجع :

(1) ابـن قتيبيـة (أبـو محمـد عبداللـه بـن سـالم) ت276 ه، الإمامـة والسياسـة، تحقيـق : د. طـه الزينـي , مؤسسـة الحلبـي، القاهـرة 1967 م .
(2) ابن كثير (أبو الفداء عماد الدين إسماعيل الدمشقي) ت774 ه .
(3) الطـبري (أبـو جعفـر محمـد بـن جريـر) ت 310 ه , تاريـخ الأمـم والملـوك ... , تحقيـق : محمـد أبـو الفضـل إبراهيـم , ط 3 , دار المعـارف، القاهـرة .
(4) الأصفهانـي (أبـو فـرج عـلي بـن حسـين) ت 360 ه ،الأغانـي ، عزالديـن للطباعـة والنـشر , مطبعـة الثقافـة , بـيروت , 1957 م .
(5) الذهبـي (شـمس الديـن محمـد بـن أحمـد بـن عثمـان) ت 748 ه , ميـزان الاعتـدال في نقـد الرجـال ، تحقيـق : محمـد البجـاوي , دار المعرفـة , بـيروت .
(6) السـيوطي (جـلال الديـن عبدالرحمـن بـن أبـي بكـر) ت 911 ه ،تاريـخ الخلفاء ، تحقيـق : أحمـد إبراهيـم زهـوة و سـعيد أحمـد العيـدروس , دار الكتـاب العربي ، ط 1 , 1419 ه1999- م .
(7) ابـن الأثـير (عزالديـن أبوالحسـن عـلي بـن محمـد) ت 630 ه ، الكامـل في التاريـخ, راجعـه : د. محمـد يوسـف الدقـاق , دار الكتـب العلميـة , بـيروت , 1418 ه- 1998 م
(8) عمـر رضـا كحالـة ، أعـلام النسـاء في عالمـي العـرب والإسـلام ، مؤسسـة الرسـالة, بـيروت .

المراجع الحديثة :

(9) إبراهيـم عـلي شـعوط , أباطيـل يجـب أن تمحـى مـن التاريـخ ،دار الـشروق،ط1، 1983 م .
(10) أحمد أمين ، ضحى الإسلام , مكتبة النهضة المصرية , ط (10) , 1984م .
(11) د. أحمـد مختـار العبـادي , في تاريـخ المغـرب والأندلـس , مؤسسـة الثقافـة ، الجامعـة الأسـكندرية .

المراجع المعرّبة :

(12) غوسـتاف لوبـون ، حضـارة العـرب ، نقلـه إلى العربيـة : عـادل زعيتر،مطبعة عيـسى البابي الحلبـي وشركاه .
(13) ول ديورانـت ، قصـة الحضـارة , ترجمـه : محمـد بـدران ، دار الجيـل، بـيروت،1408 ه1988-م.
(14) فيليـب حتـي , تاريـخ العـرب المطّـول ، ترجمـة : إنيـس فريحـة ، دارالثقافة، ط ا ، 1969م